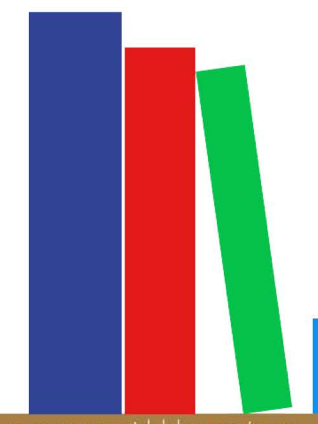
الشيخ محسن قرائتي

الأخلاق والآداب في الإسلام

تفسير سورة الحجرات

شؤون الثقافة والتعليم
مكتب الإمام الخامنئي (دام ظله) - سوريا

دار الولاء
بيروت - لبنان



مكتبة

مؤمن قريش

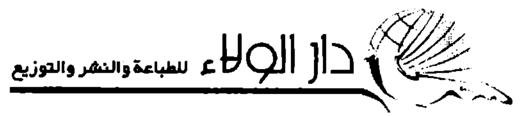
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الاخرى لرجح ايمانه .

الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

الأخلاق والآداب في الإسلام

تفسير سورة الحجرات



لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - سنتر فضل الله
تلفاكس: ٠١/٥٤٥١٣٣ - ٠٣/ ٦٨٩٤٩٦ - ص.ب: ٢٥/٣٢٧
E-mail: daralwalaa@yahoo.com
www.daralwallaa.com info@daralwallaa.com

اسم الكتاب: الأخلاق والأداب في الإسلام تفسير سورة الحجرات

المؤلف: الشيخ محسن قرائتي

إعداد: شؤون الثقافة والتعليم في مكتب الإمام الخامنئي (دام ظله) - سوريا

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة: الأولى 1426هـ 2005م

مكتب المرجع الديني

ولي أمر المسلمين آية الله العظمى الإمام الخامنئي دام ظله - سوريا

هاتف 6415847 -11- 00963/ فاكس: 6472629 -11- 00963

WWW.AL-IMAM.O

AL-IMAM@AL-IMAM.O

الأخلاق والآداب في الإسلام

تفسير سورة الحجرات

الشيخ محسن قرائتي

إدارة شؤون الثقافة والتعليم

في مكتب الإمام الخامنئي (دام ظله) سوريا

دار الولاء

بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

القرآن العزيز، كلام الله العظيم وكتابه المنزل على نبيه الكريم ومعجزته الخالدة إلى قيام يوم الدين، وهو الثقل الأكبر والحبل الإلهي الممدود من السماء إلى الأرض الذي ينجو من تمسك به، ويضل ويهلك من يزيغ عنه، وعظمة القرآن ليست إلا مظهراً من عظمة الله تبارك وتعالى، والأشياء إنما تكتسب العظمة الحقيقية بمقدار ما تقترن بالقرآن، لذا فإن شهر رمضان صار شهراً عظيماً لنزول القرآن فيه، فلو أردنا التعرف على القرآن وحقيقته فالأفضل أن نوكل بيان ذلك إلى من خوطب به ونزل عليه وهو الرسول الأعظم ﷺ والى أهل بيته الكرام (عليهم أفضل صلوات المصلين)، نظراء القرآن وقرنائه في الفضل والأدلاءُ عليه والعاملون به، فإنهم أعرف الناس بفضله ومنزلته، وسمو قدره، وهم شركاؤه في الهداية كما صرح بذلك جدهم المصطفى ﷺ

في حديث الثقلين "**إني تارك فيكم الثقلين**....".

ومما ورد عنهم في بيان عظمته ما أعرب عنه رسول الله ﷺ: "**فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**"[1]، وروى الحارث الهمداني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "**كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم**"[2] ثم إن واجبنا كمسلمين في جميع العصور والأزمان، تجاه القرآن بعد التعلم والتعليم وحسن التلاوة والتدبر في الآيات، هو التفقه في القرآن والتعرف على مفاهيمه والعمل بأحكامه. قال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: "**تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستعينوا بنوره فإنه شفاء الصدور**"[3].

من هذا المنطلق وعلى أساس هذا الفكر والاعتقاد وللوصول إلى تلك الأهداف السامية التي يتوخاها الإسلام ولكي يتجلى القرآن في جميع مجالات حياة الإنسان، قررت إدارة شؤون الثقافة والتعليم في مكتب الإمام الخامنئي (دام ظله) في سوريا أن تضع بين يدي القراء سلسلة منشورات في مفاهيم وعلوم القرآن بأسلوب مبسط يفهمه الجميع ووقع الأختيار في المرحلة الأولى

(1) بحار الأنوار 92: 19.

(2) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن ج 283 ورواه المجلسي في بحار الأنوار 89: 24.

(3) نهج البلاغة خطبة: 110.

على تفسير سورة الحجرات لسماحة الشيخ محسن قرائتي (حفظه الله) وعملت على ترجمته من اللغة الفارسية إلى العربية، بترتيب وإخراج جديدين ويسرنا أن نضع بين يديك أيها القارئ العزيز حصيلة تلك الجهود المتواصلة.

وفي الختام نشكر سماحة الشيخ علي الإبراهيمي على تعاونه معنا في ترجمة هذا الكتاب القيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إدارة شؤون الثقافة والتعليم
في مكتب الإمام الخامنئي (دام ظله) - سوريا
شهر رمضان المبارك 1425هـ.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من جعله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً..

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له: "**وتعلموا القرآن فأنه أحسن الحديث وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص**"[4].

القرآن معجزة الإسلام الخالدة، إنه الكتاب السماوي الذي أرادت له المشيئة الإلهية أن يبقى محفوظاً عن كل زيادة ونقصان

---

4 الكافي: ج2 ص600 ح2.

وتغيير، ليكون الكتاب الخالد، والدستور الدائم، والمعين الذي لا ينضب لحياة البشرية إلى يوم القيامة، فيه الأحكام الراقية والمبادئ السامية، والأخلاق الرفيعة، والعطاء الروحي الكبير.

من خلال عملنا في نشر معارف القرآن الكريم، لَمسنا تجاوباً كبيراً من قبل الجيل الجديد نحو معارف ومفاهيم القرآن الكريم، وحيث أن تفسير جميع السور القرآنية يحتاج إلى جهد كبير ومدة زمنية طويلة، وحيث أنه قد بذل بعض علمائنا الأعلام جهوداً مشكورة في هذا الجانب، فبعضهم فَسَّر جميع القرآن، وبَعضهم فسر البعض منه، جزى الله الجميع خير الجزاء.

فقد رأينا بالإضافة إلى السعي لاتمام تفسير جميع القرآن الكريم، تحت عنوان (تفسير النور) الذي يتكون من 12 مجلد، أن نقدم تفسير بعض السور بصورة مختصرة وجميلة إلى عشاق القرآن، الذين لايسعهم أن يطالعوا تفسير جميع القرآن، فعلى أقل التقادير يطالعوا قسماً منه لكي لا يحرموا من نور الوحي الإلهي، فالقرآن كتاب علم وثقافة وأخلاق وحقوق وأدب وسياسة واقتصاد، وكتاب الخير والمحبة والسلام فلو تمسكت به البشرية لرأت الأمن والسعادة في الدنيا قبل الآخرة.

فلهذا قمنا بتفسير سورة الحجرات بشكل كتاب جيب، يسهل حَملُهُ ومطالعته في كل مكان وزمان، نحمد الله سبحانه وتعالى

الذي وَفّقنا لهذا العمل الكبير، ولا يسعني إلا وَأن أُقدم شُكري لزملائي الذين ساعدوني في هذا المجال وهم سماحة الشيخ الكلباسي، والشيخ دهشيري، والشيخ جعفري، حيث بذلوا جهداً كبيراً في كتابة وتنظيم هذا التفسير.

وأخيراً كما أن حدوث الليل والنهار يأتي من خلال حركة الأرض حول نفسه، فالمكان المشرق منه هو المواجه للشمس، والمكان المظلم هو الذي في الجانب الآخر، فكذلك الأمر بالنسبة إلى كتابي، فأينما وجدتم نوراً وضياءاً فهو من نور القرآن ومن هداية الأنبياء والأوصياء والشهداء والعلماء، وأينما وجدتم نقصاً وظلمةً وعدمَ فهم، أرجو أن تجعلوا ذلك على حساب مؤلف الكتاب وهو أنا.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينوّر قلوبنا وأفكارنا وأعمالنا ومجتمعاتنا بنور القرآن إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين...

الشيخ محسن قرائتي

بسم الله الرحمن الرحيم

يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتّقُواْ اللهَ
إِنّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿1﴾ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُوَاْ أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ
أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴿2﴾ إِنّ الّذِينَ يَغُضّونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَـَئِكَ الّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ
لِلتّقْوَىَ لَهُم مّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿3﴾ إَنّ الّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن
وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴿4﴾ وَلَوْ أَنّهُمْ صَبَرُواْ حَتّىَ
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لّهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ ﴿5﴾ يَا أَيّهَا
الّذِينَ آمَنُوَاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوَاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَا بِجَهَالَةٍ
فَتُصْبِحُواْ عَلَىَ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿6﴾ وَاعْلَمُوَاْ أَنّ فِيكُمْ رَسُولَ
اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مّنَ الأمْرِ لَعَنِتّمْ وَلَـَكِنّ اللهَ حَبّبَ إِلَيْكُمُ
الأَيمَانَ وَزَيّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
أُوْلَـَئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ ﴿7﴾ فَضْلاً مّنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿8﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا
فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىَ فَقَاتِلُواْ الّتِي تَبْغِي حَتّىَ تَفِيَءَ
إِلَىَ أَمْرِ اللهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوَاْ إِنّ
اللهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ ﴿9﴾ إِنّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ وَاتّقُواْ اللهَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿10﴾ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ

لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ
مِّن نِّسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ
تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ
فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿11﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً
مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم
بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواْ
اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿12﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن
ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ
اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿13﴾ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل
لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ
وَإِن تُطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿14﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ
يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿15﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿16﴾ يَمُنُّونَ
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ
أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنُ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿17﴾ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿18﴾

السورة في سطور

1 - نزلت السورة في المدينة المنورة وتتألف من ثمانية عشر آية.

2 - تسمى بسورة الحجرات[5].

3 - حجرات جمع حجرة وهي تشير إلى بيت النبي محمد ﷺ الذي كان في غاية البساطة، حيث كان بناءه من الطين، وسقفه من جذوع النخيل.

4 - تتحدث هذه السورة كما هو الحال في سورتي "المائدة" و"الممتحنة" حول المسائل الإدارية والاجتماعية، ففي سورة المائدة، قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ..**﴾ وفي سورة الممتحنة قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا**

---

[5] عرفت واشتهرت بسورة (الآداب والأخلاق) لاحتوائها الكثير من المضامين والمفاهيم الأخلاقية.

عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾، وفي هذه السورة قال تعالى:
﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ...﴾.

5- السورة بشكل عام تتحدث حول الصفات الإلهية التي يجب أن يتحلى بها الفرد المسلم، الذي يتكون منه المجتمع الإسلامي بشكل عام، من خلال اجتماع أفراده.

من خصائص السورة

امتازت السورة المباركة ببعض الامتيازات، منها:

1- التطرق إلى موضوع عدم التقدم على النبي ﷺ ومراعاة آداب الحديث معه.

2- تحذّر السورة الأشخاص غير المتأدبين، من سوء العاقبة فيما لو استمروا على سيرتهم الباطلة.

3- تحرم السورة الاستهزاءَ، وسوءَ الظن والتنابزَ بالألقاب والتجسسَ والغيبةَ، وتعتبره أمراً متنافياً مع مبادئ السماء، وضرورة أن يكون المجتمع الإسلامي خالياً منها.

4- تدعو السورةُ المؤمنين إلى الأخوة الإيمانية، والإصلاح الاجتماعي، ومواجهة الباطل بكل صوره، والتحقق فيما يسمعون، وفيما يرد عليهم من اخبار جديدة، ولا سيما إذا كان مصدره

أفراداً مشكوكين في إيمانهم·

5- أنَّ انتخاب الأفضل من الأمور الضرورية للمجتمع الإسلامي، والأفضل هو الأتقى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾·

6- أن الإيمان والتقوى زينة الرجل وتمام قيمته وشخصيته السامية، وهذا ما يدعونا الله تعالى إليه، ومن جانب آخر يدعونا إلى الابتعاد عن الكفر والفسوق والعصيان·

7- المؤمن هو الذي يعشق الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ولا يَمُن بإيمانه على الله ورسوله صلى الله عليه وآله أبداً، بل يعتبر إيمانَهُ لطف من الله سبحانه وتعالى عليه·

8- المجتمع المؤمن هو الذي يجب أن يكون خاضعاً ومطيعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يتوقع تبعية النبي له أبداً·

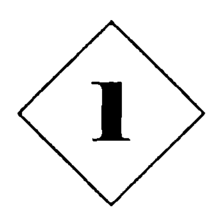
بسم الله الرحمن الرحيم

تبتدئ السورة كبقية السور القرآنية، باسم الله، حيث جاء في الحديث: "**كلُ أمرٍ ذي بال لم يبتدئ باسم الله فهو أبتر**"[6]، بلى يحتاج الإنسان مع قيامه بأي عمل من الأعمال إلى طلب العون والرحمة من الله سبحانه وتعالى في توفيقه لأداء العمل بالشكل

6 البحار ج16 ص58.

المطلوب والمفيد، وهذا الطلب يمكن للإنسان تحصيله مع ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

الابتداء باسم الله تعالى في أي عمل من الأعمال، علامةُ الإيمان بالله، وحبِهِ، وذكره، والتوكل عليه، وجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم.



التقدم على الله ورسوله

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[7].

* * *

من وحي الآية:

1 - تقف الآية المباركة عند الكثير من الأخطاء التي يقع فيها الإنسان، من حيث لا يدري، حيث أنَّ غالبية الناس يتأثرون بالظواهر المادية وما تراه أعينهم، فترى أحدهم يسعي إلى الاقتداء بالطرف المقابل في كل صغيرة وكبيرة، بل قد يميل إلى ابتكار الجديد والأفضل، فتأخذه العجلة إلى ارتكاب ذلك، أو ترى البعض يحكم على الآخرين من دون علم وفهم، والبعض الآخر لا يتأني في الكلام أو الكتابة أو في التصميم على أداء

[7] الحجرات: 1.

بعض الأمور، فيتجاوز هؤلاء الأوامر والنواهي الإلهية بشكل كامل دون أن يشعروا، فإن بعض الناس يتصور بأنه مَرضيٌّ عنه من قبل الله تعالى، وأنه على الصراط المستقيم، والبعض الآخر يتصور بأن حالة الفقر والبساطة التي فيها، هو ما يريده الله عز وجل، وهناك الكثير من التصورات والتخيلات التي يقع فيها الناس، فتأتي الآية المباركة لتبيّن الصواب من الخطأ.

2- يريد الله سبحانه وتعالى عبر هذه الآية الكريمة أن يربي الإنسان ويجعله كملائكته الكرام، حيث يقول القرآن الكريم عنهم: ﴿**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[8].

3- لم تذكر الآية المباركة الأمور التي يتقدم أو يتجاوز بها الإنسانُ على الله ورسوله، وذلك لأخطاره وتحذير من التقدم على النبي في جميع الأمور الحياتية سواء في الأمور العقائدية أو العلمية أو السياسية أو الاقتصادية أو الأخلاقية.

4- أراد بعض الأصحاب أن يَجُبُّوا أنفسهم لكي لا يميلوا إلى النكاح والنساء، وأنما يوقفوا أنفسهم لخدمة الإسلام، وقد نهاهم النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك، وأمرهم بالجد والاجتهاد في مختلف شؤون الحياة.

5- الذي يتجاوز أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله، إنما يوجد الخلل

---

8 الأنبياء: 27.

والاضطراب في المجتمع، ويخلق حالة الفوضى الشديدة في مختلف البرامج الحياتية للناس، ويجعل نظام الحياة تابعاً لميوله الشخصية الرديئة.

دروس من الآية

1- لأجل تطبيق الأوامر الإلهية في المجتمع، لابد من إيجاد حالة الاستعداد الروحي والنفسي في الناس لتقبل ذلك، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...**﴾ يعطي للمخاطب الشخصية والثقة العالية بنفسه ويربطه بخالقه جل وعلا، وهو أساس التوفيق لكل خطوة صالحة وعمل مفيد.

2- إن الأمر بعدم التقدم على الله ورسوله ﷺ هو نوع من الأدب الراقي، وقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...**﴾ فيه نوع من الأدب أيضاً للمخاطب.

3- هناك الكثير من الطبائع الشخصية، والعادات الاجتماعية، وهكذا القوانين البشرية التي لم ينزل الله ولا رسوله بها من سلطان، والنابعة من بعض العقول المنحرفة التي تخالف الفطرة والعقل السليم، وإنما هي من الأمور التي تقصدها الآية الشريفة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا...**﴾.

4- إذا حَرَّم إنسان حلالاً، وَحَلَلَّ حراماً، فقد تقدم على الله

ورسوله والله يقول ﴿**لا تُقَدِّمُوا...**﴾.

5- كل بدعة، مبالغة، مدح أو انتقاد في غير موضعه هو تَقَدُّمٌ أيضاً. ﴿**لا تُقَدِّمُوا...**﴾.

6- مبادئ فقهنا وسلوكنا يجب أن يكون من القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله.

7- التجاوز على أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله نوع من عدم التقوى، والقرآن الكريم يقول لا تتجاوزوا واتقوا الله ﴿**لا تُقَدِّمُوا... وَاتَّقُوا**﴾.

8- الحرية الخاطئة ومزاحمة الآخرين في حقوقهم لا قيمة له ﴿**لا تُقَدِّمُوا**﴾.

9- يحتاج الإنسان لأجل أداء الواجبات الإلهية إلى أمرين أساسيين وهما الإيمان والتقوى، تقول الآية ﴿**آمَنُوا ...وَاتَّقُوا**﴾.

10- من الأمور التي تبعث الجمال والروعة في الكلام، اقتران الأمر والنهي مع بعض، وهذا ما جاء في قوله تعالى، حيث قال: ﴿**لا تُقَدِّمُوا**﴾ ثم قال ﴿**وَاتَّقُوا**﴾.

11- أحكام وأوامر الرسول صلى الله عليه وآله هي نفس أحكام وأوامر الله تعالى، فعدم احترامه هو عدم احترام لله تعالى، والتقدم عليها أيضاً محظور: ﴿**لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾.

12- الالتزام العملي يجب أن يلازمه تقوى القلب ﴿لا تُقَدِّمُوا...وَاتَّقُوا اللهَ﴾.

13- الذين يتجاوزون بعض أوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله بسبب اختلاف أفكارهم وأذواقهم وأمور أخرى، فهم لا يمتلكون الإيمان ولا التقوى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا...وَاتَّقُوا﴾.

14- يجب أن لا نعلل حالات التباطؤ والتسرع في نفوسنا ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

نافذةٌ على التأريخ:

في الأسطر التالية نستعرض صوراً تاريخية لنماذج ممن تقدم على الله ورسوله، وقد وردت هذه الصور في التفاسير والروايات المعتبرة، منها:

1- قام جماعة من المسلمين بذبح قرابينهم في عيد الأضحى، قبل النبي صلى الله عليه وآله فقيل لهم: ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[9].

2- بعض الناس صاموا قبل أن يثبت دخول شهر رمضان المبارك، فقيل لهم: ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾.

3- أرسل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جماعة من المسلمين المبلغين

9 الكشاف: ج 4 ص 350.

إلى قبيلة بني عامر لأجل دعوتهم إلى الإسلام والإيمان، ولكن القبيلة واجهت المبلغين بالسوء والأذى حتى قتلوا جماعة منهم واستطاع ثلاثة الفرار منهم والرجوع إلى المدينة، غير أنهم في طريقهم إلى المدينة صادفوا رجلين من بني عامر فاعتدوا عليهما وقتلوهما ثأراً لرفاقهم، وقد انتقد القرآن الكريم هذه العملية، لأنها وقعت دون مشورة النبي صلى الله عليه وآله: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ...**﴾[10].

4- قال الإمام عليه السلام لأحد الأشخاص: اقرأ هذا الدعاء: "**يا مقلب القلوب**"، فقال المستمع: "**يا مقلب القلوب والأبصار**"، فقال الإمام عليه السلام: أنا لم أقل كلمة "**الأبصار**"، القرآن الكريم يقول ﴿**لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾[11].

5- جماعة من بني تميم طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله شخصاً ليكون قائداً ومسؤولاً عليهم، فاختار أبو بكر شخصاً، واختار عمر ثانياً، وتشاجرا فيما بينهما، كلٌ يدعي بأن الشخص الذي اختاره هو الأفضل، فنزلت الآية المباركة ﴿**..لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ...لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ**﴾[12].

---

10 الكشاف: ج 4، ص 350.

11 كمال الدين للصدوق ص 201.

12 صحيح البخاري ج 3 ص 133.

6- قال الإمام عليه السلام لأحد المسلمين، اقرأ هذا الدعاء "**لا إله إلا الله... إلى جملة.. يحيي ويميت**" فقرأ السامع الدُعاء وأضاف من نفسه هذه الجملة "**ويميت ويحيي**"، فقال الإمام عليه السلام: جملتُكَ صحيحة ولكن قل كما قلت،ثم قرأ عليه قوله تعالى ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾[13].

7- حَرَّمَ بعض الأصحاب النوم والطعام والنكاح على أنفسهم، فلما عرف النبي صلى الله عليه وآله بِهِم تألم من عملهم هذا، فصعد المنبر وقال: أنا آكل الطعام، وأنام، وأعيش مع زوجتي، وهذه هي سنتي ﴿**فمن رغِبَ عن سنتي فليس مني**﴾[14].

8- أحل النبي صلى الله عليه وآله الزواج المؤقت، وأمر المسلمين به، ولكن الرجل قال: وأنا أُحرّمُهُ، فهذا القول نوع من التجاوز على النبي صلى الله عليه وآله والقرآن الكريم نهانا عنه بقوله ﴿**لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾.

9- لمّا خرج النبيُ صلى الله عليه وآله والمسلمون إلى فتح مكة في شهر رمضان سنة 8 للهجرة، احتفظ بعض المسلمين بصومهم ولم يفطروا بالرغم من أنهم يعلمون بان الصومَ حرام على المسافر، وأن النبي صلى الله عليه وآله قد أفطر أمامهم، ولكن مع هذا ظلوا على صومهم،

---

13 الخصال للصدوق: ج 2 ص 62.

14 وسائل الشيعة: ج 23، ص 244.

هؤلاء أيضاً ممن تجاوز أمر النبي ﷺ والقرآن الكريم يقول ﴿..لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِه...﴾.

صور من حالات التخلف:

وكما أن التقدم على الله ورسوله محظورٌ ومرفوض من قبل الله تبارك وتعالى، فكذلك الأمر بالنسبة إلى التخلف والتباطؤ عن تنفيذ الأوامر المقدسة، فإذا أمر الله سبحانه وتعالى أو الرسول ﷺ أو الإمام عليه السلام أو امتدادهم الصالح بأمر من الأوامر أو نهي من النواهي، لابد من الاستجابة الكاملة لهم قلباً وقالباً، القرآن الكريم ينتقد بشدة أولئك الذين يتباطئون عن تنفيذ وتطبيق أوامر الله تعالى فيقول عنهم: ﴿...اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾[15].

وإليك في هذا المجال بعض النماذج:

أ- جَهّزَ النبي الأكرم ﷺ وهو في ساعات رحيله عن هذه الدنيا، جيشاً بقيادة أسامة للدفاع عن منطقة من المناطق، ودعا أغلب المسلمين إلى الانضمام إلى جيشه، وقال: لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة، ولكنَّ البعض تخلف عن ذلك، ولم يسمع كلام النبي ﷺ بكل جرأة ووقاحة.

ب - القرآن الكريم انتقد بشدةٍ أولئك الذين يتخلفون عن

15 التوبة: 38.

سماع وتطبيق أوامر النبي ﷺ ويفضلون القعودَ على الذهاب إلى جبهات القتال، فيقول: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ**﴾[16].

ج- انتصر المسلمون في معركة أُحد في الحملةِ الأولى، فوضع النبي ﷺ 50 نفراً في بعض المنافذ الجبلية للحراسة ومراقبة العدو، ولكن هؤلاء تركوا مواضعهم لأجل الحصول على بعض الغنائم، فنزلت الهزيمة بالمسلمين، واستشهد حمزة عم النبي ﷺ، ومجموعة أخرى من أصحابه المخلصين، وقد أشار القرآن الكريم إلى أنَّ سبب هذه الهزيمة ثلاثة أمورٍ وهي:

1- الضعف الروحي.

2- الاختلاف.

3- التخلف عن أمر النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿**...حَتَّىَ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ...**﴾[17].

د- أشار الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في مواضع متعددة من كتابه الشريف نهج البلاغة إلى بعض الجماعات والأشخاص

16 التوبة: 81.

17 آل عمران: 152.

الجبناء والكسالى، حيث وَجَّه إليهم انتقاداً شديداً وكلاماً لاذعاً، ووصفهم بأنهم أجساد بلا أرواح، وأنهم لا يمتلكون الرجولة والشهامة والموقف الحازم، لذا القرآن الكريم يريد منا أن نكون معه دائماً وأبداً، لا نتجاوز على كلام الله ورسوله ولا نتخلف عنهما. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾.

بحث حول التقوى

بمناسبة قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ نشير إلى بعض النقاط التالية:

1- الهدف من الأوامر الإلهية هو إيجاد التقوى في روح الإنسان، فمثلاً نرى القرآن الكريم يقول: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[18]،

ويقول أيضاً: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[19].

2- التقوى أساس حصول الهداية في الإنسان ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[20].

---

18 البقرة: 21ز

19 البقرة: 183.

20 البقرة: 2.

3- يجازي الله سبحانه وتعالى المتقين علماً خاصاً من عنده، قال عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾[21].

4- التقوى سبيل واضح للحصول على الرحمة الإلهية، قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[22].

5- التقوى هو العامل الأساسي في قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[23].

6- التقوى سبب زيادة رزق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[24].

7- لا يواجهُ المتقي الأزمات والضيق في حياته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾.

8- يجد المتقي من المدد والعون والخير مالا يجده غيره، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[25].

9- التقوى طريق النجاة والفلاح يوم القيامة، قال عز وجل: ﴿وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[26].

---

21 البقرة: 282.

22 الأنعام: 155.

23 المائدة: 27.

24 الطلاق: 3.

25 التوبة 36.

26 الأعراف: 128.

كيف تحصل على التقوى؟

1- الإيمان بالله واليوم الآخر عاملان أساسيان في حفظ الإنسان من الوقوع في المعاصي، وكلما كان إيمان الفرد أشد، كلما كانت حالة التقوى عنده أكثر.

2- الإحساس بالمسؤولية العامة، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يؤديان إلى ارتفاع حالة التقوى في المجتمع.

3- تربية العائلة بصورة صحيحة.

4- أكل الحلال والاجتناب عن الحرام

5- امتلاك الكبار للسلوك الحسن، حيث إنهم قدوة بالنسبة إلى الآخرين.

6- امتلاك الصديق الصالح، والزوجة الصالحة والجار الصالح.

7- العمل المفيد في مختلف مجالات الحياة.

8- ملازمة الأفراد المتقين، فإنه عامل مهم في نمو التقوى لدى الإنسان.

هل تضيقُ التقوى الحريةَ على الإنسان

يتصور البعض بأن التقوى تحد من حريته، وتُضيق عليه في الكثير من الأمور، وكأنما تجعله في سجن، التقوى لا تجعل الإنسان في سجن، بل تجعله في قلعة وحصن، هناك فرق بين القلعة والسجن، السجن يُقفل من الخارج ويحدد حرية الإنسان بشكل غير طبيعي، ولكن القلعة والحصن هو المكان الذي يختاره الإنسان والذي يقفله بيده لكي يحفظ نفسه من المخاطر والحوادثِ الخارجية.

فمثلاً عندما يلبس الإنسان حذاءه، هل يجلب الخناق لرجله أم يسعى لحفظها من الأذى الخارجي، إذاً ليس كل تحديد مضراً، وليست كل الحريات مفيدة ونافعة، وكذا ليس كل نشاط وسعي يصدر من الإنسان هو مفيد، إن ميكروب السرطان أيضاً يتحرك وينشط في بدن الإنسان ولكنه يهلك صاحب ذلك البدن وينهي أيامه من هذه الحياة، وليس كل تأخر ورجوع مضراً، إذ أن المريض الذي يُراجع الطبيب لا يقصد من رجوعه هذا إلاّ العودةَ إلى حالتهِ الطبيعية الأولى، وهذا الرجوع له قيمة. فإذا التقوى تعني امتلاك حالة الأمان من الأضرار الخارجية.

النساء والبنات اللائي يخرجن إلى الشوارع والأسواق بصورة لا يرضى بها الله ورسوله، وذلك تحت عنوان الحرية والتقدم

الحضاري، هؤلاء لو رجعن إلى أنفسهنَّ وعقولهِنَّ لدقائق معدودة فقط، وفكّرن في أنفسهن حتى لو كُنَّ غير مسلمات، فإن عقلهن وفطرتهن تدعونهن إلى الطهارة والعفة، والحجاب والابتعاد عن الاستهتار والخلاعة، إن من مضار ترك الحجاب أو التبرج:

1- ظهور حالة سوء الظن بهن.

2- تعرّض المرأة المتبرجة إلى الانظار الخاطفة ولو لفترة محدودة.

3- تخلخل الجو العائلي.

4- تهيج الشباب، وخلق حالة الاضطراب في نفوسهم.

5- السعي إلى حب الظهور وكثرة التجمل.

6- إيجاد أزمة فكرية وعلمية للطلاب، وإبعادهم عن التفكير السليم في دروسهم وعملهم.

7- إيجاد حالة التأوه والحسرة في قلوب البنات اللائي لا يمتلكن مالاً لشراء الموديلات الحديثة من الألبسة والأحذية والعطورات.

8- إيجاد الخلل الاقتصادي في المجتمع، إذ يتبدل التركيز الفكري والعملي إلى اللهو واللعب، وإملاء الشهوات.

9- إيجاد حالة الاضطراب الروحي والنفسي في النساء اللائي لا يمتلكن الجمال والأناقة.

10- إيجاد الاضطراب والأذى للوالدين.

11- إشباع نفوس أصحاب الشهوة والفساد.

12- خلق حالة من التنافس الضار بين النساء.

13- الهروب من البيت.

14- ظهور الأطفال غير الشرعيين.

15- ظهور الأمراض الخطيرة والفتاكة مثل الإيدز.

16- ظهور الأمراض الروحية.

17- ظهور حالات إسقاط الجنين والانتحار، وقتل الآخرين وحوادث السير.

وجميع هذه الصور ترجع إلى انعدام حالة التقوى لدى الإنسان، مما يدفعه إلى التهور والفساد، ومنها التبرج بالنسبة إلى النساء، لعل هذا هو السبب والعامل على التأكيد الكبير على التقوى في القرآن الكريم، ولذا فإنَّ من الواجب على العلماء والخطباء والمصلحين التأكيد على إيجاد التقوى في أفراد المجتمع بالشكل المطلوب، ومن هنا فإن القرآن الكريم يدعونا

إلى تنمية التقوى في نفوسنا، ولا يرضى للإنسان أن يكون قانعاً بما عنده، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[27]، وقال في سورة أخرى: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[28]، ولابد أن لا نيأس من رحمة الله تعالى وعفوه، فإذا ما وقع الإنسان في حبائل الشيطان والمعصية، يمكن له إنقاذ نفسه بحبل الصلاة والتوبة وطلب العفو من الله سبحانه وتعالى.

27 التغابن: 16.

28 آل عمران: 102.



أسلوب التعامل مع النبي ﷺ

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ الآية(2).

* * *

من وحي الآية

* تحدثت الآية السابقة حول محظورية التقدم على النبي ﷺ، بينما هذه الآية تتحدث حول أسلوب التحدث معه ﷺ، وتأمر أيضاً بلزوم احترام النبي في جميع الأحوال.

الآية 63 من سورة النور تأمرنا بتعظيم النبي ﷺ وأن لا ندعوه كما يدعوا بعضنا بعضاً، بل ندعوه ونسميه بكل إجلال وإكرام، قال تعالى: ﴿لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾[29].

---

29 النور: 63.

* حفظ العمل أفضلٌ من العمل نفسه، فقد تكون أعمالنا منذ البداية باطلة وسيئة، كما لو كنا نقصد بها الرياء وحب الظهور، وقد تفشل وتحبط في أثناء العمل، وذلك إذا أخذنا العجب والغرور، وتارة تحبط أعمالنا حتى بعد اكمالها وذلك بسبب القيام ببعض الأعمال المفسدة له، ولهذا يقول القرآن الكريم من حَفِظ عمله من الحبط ومن الآفات الأخرى، وجاء به يوم القيامة، فإنه سوف يجزى بعشر أمثاله بل وأكثر من ذلك، قال تعالى: ﴿**مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها**..﴾، ولعل السبب في هذا هو وجود الفاصلة الزمنية الكبيرة بين أداء العمل وبين تحويله يوم القيامة، قال النبي صلى الله عليه وآله: "**من ذكر الله تعالى غُرست له شجرة في الجنة، فقال أحد المسلمين: إذاً عندنا أشجار كثيرة في الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: بلى ولكن تصدر منكم أحياناً بعض الأعمال فتحرق تلك الأشجار، ثم تلا النبي صلى الله عليه وآله الآية المباركة ﴿..لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**...﴾"[30].

* ذكر القرآن الكريم مرتين مسألة بطلان وضياع الأعمال، مرةً عند الكفر والشرك، ومرةً عند عدم مراعاة الآداب اللازمة في التكلم مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن هاتين الآيتين نفهم أنَّ عدم مراعاة الآداب الإلهية مع النبي صلى الله عليه وآله تعادل الشرك والكفر بالله

30 راجع البحار: ج8، ص186.

سبحانه وتعالى وكلاهما يحبطان عمل الإنسان.

* كان بعض الأصحاب يرفعون أصواتهم عندما يتحدثون مع النبي صلى الله عليه وآله من غير عمد، فكان النبي صلى الله عليه وآله يرفع صوته أكثر، وذلك لكي لا تُحبط أعمالهم[31].

* عندما عرف أحد الأصحاب بأن رفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وآله يُؤدي إلى حبط الأعمال، تألم كثيراً، فقال له النبي صلى الله عليه وآله إن صوتك كان يرتفع لأجل الخطابة والتحدث لجميع الناس، فإن وضعك يختلف عن الآخرين[32].

* إذا رفع المؤمن صوته على النبي صلى الله عليه وآله فإن هذا يؤدي إلى حبط عمله، ولكن إذا لم يكن يعرف النبي صلى الله عليه وآله فإن أمره يختلف، لأن العلم والمعرفة والقصد شرط في صحة العمل، فمثلاً إذا استعمل المؤمن الصحف اليومية المكتوبة فيها بعض الآيات القرآنية وأسماء النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام، وذلك لأعماله البسيطة دون أن يعلم بوجود كلام الله فيها، فهنا لكونه لا يعلم بذلك، فلا يعتبر عمله هذا حراماً، لأنه لا يقصد الاستهانة بكلام الله تعالى.

* يستفاد من قوله تعالى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾،

---

31 بحار الأنوار: ج9،ص332.

32 تفسير مجمع البيان.

مسألة مهمة، وهي أن الآثار السيئة للعمل السيء ليست بعيدة عن الإنسان، سواء علم بذلك أم لم يعلم، فإذا شرِبَ الإنسان خمراً فإنه سوف يسكر، ولو تصور قبل الشرب بأنه ماء و إذا مسكتَ بسلك الكهرباء العاري، فإنك سوف تتكهرب ولو ظننت بأنه لا يكهربِك، وكذلك الذنوب تجلب للإنسان الفقر والزلازل، وقلة المطر، وقصر العمر، والذلة والمسكنة، ولو كان الشخص لا يدري بهذه النتائج والآثار، وعلى هذا الأساس، فإن عدم الاحترام للنبي ﷺ يؤدي إلى حبط عمل الإنسان، ولو كان الإنسان غافلاً عن هذا الأمر.

دروس من الآية

1- لأجل تعليم الناس الآداب الإلهية، لابد من احترامهم بالشكل الكامل، وإلاّ فإن الآداب لا يمكن زرقها في نفوس الناس، كما يزرق الدواء في بدن الإنسان، والله جل وعلا يخاطب الناس الذين يريد تربيتهم باحترام فيقول: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**...﴾.

2- يتمتع قائد الأمة الإسلامية بحقوق ومزايا معنوية خاصة، يجب على الناس مراعاتها، فإذا أرادوا الحديث معه فلابُدَّ أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، وإذا كان ساكتاً فلابد أن يتكلموا بهدوء واحترام ﴿...**لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**...﴾.

3- التوصية باحترام الشخصيات الكبيرة، أمرٌ جميلٌ إذا كان

عن لسان الآخرين، في هذه الآية لم يقل النبي ﷺ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوتي، رَبُّنا سبحانه وتعالى هو الذي يوصي بهذا الأمر ﴿...**لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ**...﴾.

4- تتناسب جريمة الإنسان مع شخصيتِهِ، فإذا كان مؤمناً صالحاً فجريمته أكبر مما إذا كان كافراً لأن ذنبه أخف بالنسبة إلى المجتمع الإسلامي، فأسلوب المؤمن إذا كان رديئاً مع النبي ﷺ يكون قبيحاً جداً عما إذا صَدَرَ من إنسان كافر ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**...**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ**...﴾.

5- أحياناً يُهلكُ الإنسانُ نفسَه بنفسِهِ بشكل كامل دون أن يشعر ﴿**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾.

صورٌ من التأريخ

أ- طلب النبي ﷺ في ساعة رحيله وهو على فراش الموت، قلماً وورقاً، وقال: لكي أكتب لكم كتاباً لن تضلوا من بعدي أبداً، فقال الرجل: إن النبي ليهجر، أي لقد اشتد المرض به، وإنه لا يعلم ما يقول، عندنا كتاب الله ولا نحتاج إلى ما يكتبه النبي، فارتفعت الأصوات، فالتفت النبي إلى الجالسين وقال لهم: قوموا واذهبوا، لا ترفعوا أصواتكم عندي[33].

[33] صحيح مسلم: ج3، ص1359.

قال العلامة المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره في كتابه المراجعات: بالرغم من أنهم لم يأتوا بقلم وورق إلى النبي صلى الله عليه وآله، ولم يكتب النبي وصيةً، ولكننا نستطيع أن نقرأ تلك الكلمات التي لم يُسمح لها أن تكتب بيد النبي صلى الله عليه وآله، لأنه صلى الله عليه وآله قال: هدفي من الكتابة هو أن أكتب لكم شيئاً لن تضلوا من بعدي أبداً، فإذا دققنا قليلاً في "**لن تضلوا من بعدي**..." ورجعنا إلى أقوال النبي صلى الله عليه وآله نرى أنه ذكر هذه الكلمة مراراً حول القرآن وأهل البيت عليهم السلام، حيث قال: "**إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إنّ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً**..." ومن تكرار كلمة "**لن تضلوا**" عند تمسك المسلمين بالقرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام، نفهم من كلامه في ساعة رحيله صلى الله عليه وآله، بأن المراد من قوله: أكتب لكم كتاباً "**لن تضلوا**" من بعدي أبداً، هو التمسك بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام.

ب – لما استشهد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وأراد المسلمون دفنه إلى جوار قبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله انتفضت عائشة ووقفت أمام هذا الأمر بكل شدة، مما دعا إلى ارتفاع أصوات الناس، فالتفت الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام إلى الحضور، وقرأ هذه الآية المباركة ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ**

النَّبِيِّ...﴾، فسكت الناس، ثم قال: احترام النبي ﷺ واجبٌ في حياتِهِ ومماته[34].

الأمور المقدسة في الإسلام

يلتزم الناس في جميع العالم باحترام خاص لشخصياتهم الدينية على مختلف عقائدهم، فتراهم يُسَمُّونَ شوارعهم وَمُدنِهِم ومدارسهم ومطاراتهم وجامعاتهم العلمية وهكذا بالنسبة إلى مؤسساتهم الدينية الأخرى، بأسماء هذه الشخصيات، وقد وضع الإسلام أيضاً احتراماً خاصاً للشخصيات الدينية والعلمية، وهكذا بالنسبة إلى الأمكنة والأزمنة وإلى بعض النباتات والجمادات.

وجاء الاحترام والتقديس لهذه الأمور بسبب ارتباطها بالله سبحانه وتعالى، وكلما كان ارتباطها بالله أكثر كانت قداستها أكبر، ويجب أن نحترمها لأجل هذه الامتيازات.

فمن الأمور المقدسة في الإسلام

1- **رب العزة** سبحانه وتعالى هو أساس ومنبع القداسة للكون كله، وسيعترف المشركون بخطأهِم الكبير يوم القيامة، حيث كانوا يجعلون ألهتهم مع الله سواء أو شركاء لله تعالى في

---

34 صحيح مسلم: ج3، ص1259.

إدارة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿**تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ وَما أَضَلَّنا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ**﴾[35].

جاءت آيات متعددة في القرآن الكريم تذكُرُ مسألةَ التسبيح والتنزيه لله سبحانه وتعالى، في هذه الآيات خطاب للإنسان، بأنك لابد أن تقدس الله وتُسبّحه ليل نهار كما يُسبّحُ له ما في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿**يُسَبِّحُ للهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[36]، ويجب أن يكون احترامنا وتقديسنَا لله تعالى بأن لا نجد فيه أي عيب ونقص في ذاته، ولا في صفاته أيضاً، قال تعالى: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾[37].

2- **القرآن الكريم** أيضاً له احترامٌ وقداسةٌ خاصة به، عندما يُعظِّمُ الله تعالى كتابه الشريف، فنحن أيضاً يجب أن نحترم ونُعظِمَ كتابه، كمّا يعرّف القرآن نفسه بأنه كريم بقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ**﴾[38]، فنحن يجب أن نُكرِّمهُ، وعندما يُمجّد القرآن نفسه، يجب أن نُمجدَهُ، وهكذا بالنسبة لصفات القرآن الأخرى.

---

35 الشعراء: 97-99.

36 التغابن: 1.

37 الأعلى: 1.

38 الواقعة: 77.

3- **الأنبياء والرسل والأئمة الطاهرون** عليهم السلام وامتدادهم الصالح الذين يحملون رسالات الله سبحانه وتعالى ويجاهدون في سبيله، ولا يخافون لومة لائم، وعلى رأسهم سيد الأنبياء والمرسلين الحبيب المصطفى ﷺ حيث تأمر السورة المباركة بعدم التقدم عليه في أي عمل من الأعمال ورعاية احترامه بالشكل الذي أمرنا به الله تعالى.

ثم إن القرآن الكريم يأمرنا بالصلاة على النبي ﷺ دائماً، ولا سيما إذا ذُكر اسمه المبارك، حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**..﴾، ويأمرنا القرآن أيضاً بتعظيمه ﷺ دائماً وأبداً سواء في حياته أو بعد مماته، وأن نحترم وصيه وذريته الطاهرين عليهم السلام وجميع الذين يرتبطون به بصورة من الصور، لا سيما العلماء والفقهاء الذين يحملون رسالته وينشرونها في الأرض فهم امتداده كما جاء في الحديث "**علماء أمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل**"، وجاء في الحديث: عن ابن مسكان عن أبي بصير (من فقهاء عصر ا لإمام جعفر الصادق عليه السلام) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أرأيت الرادّ عليَّ هذا الأمر كالرادّ عليكم؟ فقال: يا أبا محمد من ردَّ عليك هذا الأمر فهو كالرادّ على رسول الله ﷺ [39]،

---

39 البحار: ج27، ص238.

وهكذا الأمور المرتبطة بالأنبياء أيضاً لمكانتها وكرامتها الخاصة، منها الصندوق الذي وضع فيه نبي الله موسى (على نبينا وآله وسلم) عندما كان طفلاً في المهد، وضعته أمّهُ فيه، وألقته في البحر خوفاً من أن يُقتل على يد جلاوزة فرعون، هذا الصندوق أصبح فيما بعد مقدساً ومباركاً بحيث كان بنو إسرائيل يجدون فيه السكينة والاطمئنان، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ** (الصندوق الذي وضع فيه موسى عليه السلام) **فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[40].

4- **الوالدان**: أمر الله سبحانه وتعالى في خمسة مواضع من كتابهِ الشريف، بتوحيده ومن ثم الإحسان إلى الوالدين[41]،وأمر بالشكر للوالدين كما أمر بشكره[42]، ثم إن النظر إلى الوالدين بالعطف والمحبة تعتبر عبادة، والإسلام يأمرنا بأن لا نرفع صوتنا فوق صوتهم، وإذا سافر الابن، وسبّب هذا السفر الأذى لوالديه، فانه سفر معصية، ولا تقصر الصلاة فيه، ثم إن الإسلام حَرَّمَ الزواج من زوجة الأب بعد طلاقها احتراماً وتقديراً للأب.

---

40 البقرة: 248.

41 البقرة: 83، النساء: 38، الأنعام: 151، الإسراء: 23، الأحقاف: 15.

42 لقمان: 14.

5- **الأزمنة والأمكنة:** بعض الأزمنة في الإسلام لها قيمة عالية، كليلة القدر، وكذلك بعض الأمكنة، كالمسجد، وبعض الأحجار كالحجر الأسود، وبعض المياه كماء زمزم، وبعض الأتربة كتربة الإمام الحسين عليه السلام، وبعض الأشجار كالزيتون، وبعض الأسفار كالمعراج والسفر لأجل طلب العلم، ولأجل العبادة وإنقاذ المحرومين والجهاد، وبعض الألبسة مثل لباس الإحرام، فهذه الأمور في نظر الإسلام مقدسة ويجب أن نضع لها احترامها الخاص بها.

أمر الله عز وجل موسى عليه السلام بخلع نعليه عندما وصل إلى الوادي المقدس، قال تعالى: ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً**﴾[43].

المشرك لا يحق له دخول المسجد الحرام: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ**﴾[44]، والمسلم إذا أراد الذهاب إلى المسجد لابد أن يتزيّن بالشكل المطلوب، قال تعالى: ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[45]، ثم إن المجنب لا يحق له دخول المسجد، قال تعالى: ﴿**وَلا جُنُباً إِلاَّ عابِري سَبيلٍ**﴾[46]،

43 طه: 12.

44 التوبة: 28.

45 الأعراف: 43.

46

وذلك لشدة قداسة المسجد، القرآن الكريم يذكر بأن نبي الله إبراهيم وإسماعيل وزكريا ومريم عليهم السلام كانوا يعملون في المسجد بين بناء وتطهير وغير ذلك، قال تعالى: ﴿**وَعَهِدْنا إلى إبْراهِيمَ وَإسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[47].

وأن مريم عليها السلام نذرت ما في بطنها، بأن يكون خادماً في المسجد الأقصى عندما يأتي إلى الدنيا ويبلغ مرحلة الرشد، ﴿**...إنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[48].

6- **الإنسان المؤمن** مقدس ومكرم في الإسلام، وحُرمته أعظم عند الله تعالى من حرمة الكعبة، وأنه تعالى حَرَّم إيذاءه وغيبته، وأوجَب الدفاع عن حَقّه وحَرّم نبش قبره بعد وفاته.

لو أقيمت صلاة الجماعة في مكان من الأمكنة، لا يجوز لشخص أن يصلي بصورة مفردةٍ إذا كان عمله هذا يُسبب تضعيفاً وإهانة لإمام الجماعة.

7- الإسلام يحترم **بعض الأشخاص غير المسلمين** ويحترم

---

47 البقرة: 125.

48 آل عمران: 35.

مكانتهم، كان النبي ﷺ يحترم رئيس القبيلة الذي يَعرِضُ إسلامه، فيأمر ﷺ المسلمين بأن يَبقى هذا الشخص في مكانته السابقة وبكل احترام وتقدير، كما جرى هذا الأمر مع بنت حاتم الطائي ومع شهربانو بنت ملك إيران.

إذاً فالإسلام يحترم جميع الأمور المقدسة، وهكذا الأمر بالنسبة للديانات والعقائد الأخرى فإنها تحترم مقدساتها، لكن لابد أن لا نغفل؛ إذ هناك بعض المقدسات شيطانية وكاذبة، وهناك البعض ممن يدعي القداسة ولكنه شيطان، يريد من عمله هذا الوصول إلى بعض الأغراض والنوايا الشخصية، كالسامري الذي وضع عجلاً ودعا الناس إلى تقديسه وعبادته، وهناك الكثير من الشعراء والمداحين يألهون ويقدسون الملوك والرؤساء للحصول على بعض المطامع، فهذا التقديس أيضاً تافهٌ لا قيمة له.

صور من احترامات الصالحين:

الصالحون وأولياء الله سبحانه وتعالى كانوا سبّاقين في تقديس الأمور الإلهية، فعلى سبيل المثال:

1 - لما كان النبي ﷺ على قيد الحياة، لم يكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب بين الناس، بل كان يدع الأمر للقائد الأكبر، وهو النبي الأعظم ﷺ.

2- جاء فقير إلى الإمام الحسن عليه السلام يطلب المساعدة، فأعطاه الإمام عليه السلام مئة درهم، وعندما رأى الإمام الحسين عليه السلام أخاه الحسن عليه السلام أعطى مئة درهم، مد يده واستخرج للفقير 99 درهماً وأعطاها للفقير، وذلك لكي يحفظ مقام أخيه الأكبر.

3- عندما كان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام يسمع اسم الإمام الحجة المهدي المنتظر عليه السلام، كان يقوم من مكانه احتراماً له، بالرغم من أن الإمام عليه السلام لم يُولد بعد.

4- كان السيد البروجردي قدس سره في أحد الأيام جالساً مع حشد كبير من الناس، أحد الأشخاص قام من مكانه، وقال لسلامة الإمام المهدي عليه السلام وسلامة السيد البروجردي صلوا على محمد وآل محمد عندما سمع السيد هذا الكلام تألم كثيراً، ثم التفت إلى الحاضرين، وقال: لماذا لا يحترم البعض مكانة وقداسة أئمتنا، لماذا وضع هذا الشخص اسمي إلى جانب اسم الإمام الحجة عليه السلام، ما قيمتي لكي يوضع اسمي إلى جانب اسمه المبارك؟

فلذا لابد أن ننتبه، إن درجات القداسة والتكريم تختلف بالنسبة للأشخاص، كل شخص له احترامه الخاص به، ولا يجوز أن ننظر إلى الجميع بشكلٍ واحد.

حبط الأعمال

الآية الثانية من سورة الحجرات تتحدث عن حبط وضياع الأعمال فيما لو رفع الإنسان صوته عند النبي ﷺ فقالت: إن أجر جميع أعمالكم الصالحة سوف تذهب هباءاً وضياعاً وأنتم لا تشعرون، بسبب عملكم ذلك، وإليك شرح مختصر حول هذه المسألة:

الحبط في اللغة: الفساد والضياع، كتفاعل الماء مع النار والبرودة مع الحرارة، والغذاء مع الدواء، فكذلك أعمال الإنسان تُؤثر بعضها على بعض، فعلى سبيل المثال:

أ – لو اشتغل عامل عند تاجر مدة عشرين سنة بكل جدّ وإخلاص، وبعد هذه المدة الطويلة، قام وقتل ابن التاجر، فإنه بذلك يصبح سبباً في ضياع وفساد جميع جهوده التي بذلها خلال تلك السنين الطويلة، هذا مثال للحبط.

ب – لو أتعب خادمٌ سيّدَه مدة طويلة من الزمن، ولكن في يوم من الأيام، قام الخادم بإنقاذ ابن سيده من الغرق، هذه الخدمة الجميلة تُسبب نسيان جميع السنين المؤلمة التي واجهها سيدُهُ منه، وسوف يشكره وينسى جميع ما عانى منه، العمل الذي يُذهب بالكدورات والسيئات، يسمى بالتكفير أو الكفارة. نفهم من هذين المثالين، أنَّ أعمال الإنسان يؤثر بعضها على بعض، وإليك بعض الأمثلة القرآنية:

1- الكفر والارتداد والصدّ عن سبيل الله ومحاربة رسول الله ﷺ تسبّب فساد أعمال الإنسان.

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدى لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ﴾**[49].

2- القيام بالأعمال التي تولد غضب الله تعالى، والابتعاد عن الأمور التي تُرضيه تستوجب الحبط في الأعمال، قال تعالى: **﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾**[50].

3- الشرك والنفاق وحب الدنيا، وقتل الأنبياء وعباد الله الصالحين (الزمر: 65، التوبة: 68، هود: 16، آل عمران: 24).

4- الامتنانُ على الآخرين، قال تعالى: **﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذى...﴾**[51].

5- الرياء والعجب.

---

49 محمد: 34.

50 محمد: 29.

51 البقرة: 264.

الحبط في الروايات

هناك روايات كثيرة وردت عن النبي الأكرم محمد ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام تُبين الأمور التي تُؤدي إلى فساد وحبط أعمال الإنسان منها:

1- إضمار وإظهار العداوة لأئمة أهل البيت عليهم السلام[52].

2- ترك الصلاة من دون عذر، سُئل أحد الأئمة عليهم السلام لماذا اعتبر أكل مال اليتيم من الذنوب الكبيرة، ولم يُعتبر ترك الصلاة كذلك؟ فقال عليه السلام: إن ترك الصلاة كفر عملي يوجب فساد جميع أعمال الإنسان[53].

3- عدم الرضا: إذا قالت الزوجة لزوجها: إني ما رأيت في حياتي أي خير منك وأنا غير راضية منك، كلامها هذا يؤدي إلى حبط جميع أعمالها الصالحة[54].

جاء عن رسول الله ﷺ: من غسل ميتاً بصورة أمينة، يجازيه الله تعالى بكل شعرة منه ثواب عتق رقبة ويرفعه ألف درجة، فقالوا: وكيف يَحفِظُ أمانة الميت؟ قال ﷺ: يستر عورته ويخفي

---

52 بحار الأنوار: ج28 ص198.

53 الكافي: ج2/ص384-ص278.

54 من لا يحضره الفقيه: ج3، ص440.

الأمور القبيحة في بدنه، وإلاّ فسوف يحبط أجره ويُخزيه الله تعالى في الدنيا والآخرة[55]،هذا بالنسبة إلى حفظ شخصية الميت، فكيف بحفظ شخصية الحي؛

5- قال الإمام الباقر عليه السلام حول قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾[56]، فقال: مصداق الإيمان في القرآن هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن أعرض عنه وكفر بولايته، فسوف تُحبط جميع أعماله[57].

6- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: مَن لم يُؤدي أعماله على اليقين والعلم والحجج الشرعية الثابتة، فإن أعماله غير مقبولة عند الله سبحانه وتعالى[58].

قبول الأعمال

نتطرق الآن حول الأمور التي تُثبت عمل الإنسان، والأمور التي تبدّلُ السيئات إلى حسنات:

أشار القرآن الكريم إلى أن الإيمان والعمل الصالح، والتقوى، وصدقة السر، والتوبة، والابتعاد عن الذنوب، والصلاة والزكاة

55 وسائل الشيعة: ج2، ص427.

56 المائدة: 5.

57 البحار: ج35، ص248.

58 وسائل الشيعة: ج27، ص40.

والقرض الحسن والهجرة والجهاد تسبب جلب المغفرة والعفو للإنسان، ومحو السيئات عنه قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ**﴾[59].

أشار القرآن الكريم وبكل وضوح إلى أن رفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وآله يؤدي إلى حبط أعمال الشخص، بينما نرى القرآن من جانب آخر يدعو جميع المؤمنين إلى التكلم بهدوء، فنرى لقمان عليه السلام يقول لولده "**وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ**.."، وشبّه الأصوات المرتفعة بصوت الحمار، قال عز وجل: ﴿**إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾، أحد مشاكل ومصائب هذا العصر المسمى بعصر المدنية والحضارة هو وجود التلوث الصوتي في المجتمع، حيث يقوم البعض بعنوان مراسم الزواج، والبعض الآخر باسم مجالس العزاء، وآخر في ميدان البيع والشراء، والآخر في ميدان الرياضة بسلب الهدوء والراحة من الناس، وذلك بتشغيل مكبرات الصوت، في حين لم يسمح لنا الإسلام برفع أصواتنا إلا في مواضع معدودة وقليلة جداً، منها رفع الصوت عند الآذان للصلاة، وأن يكون بصوت جميل وبدون مقدمات، وأيضاً رفع الصوت للحجاج عند رؤية القوافل في مسيرهم إلى مكة المكرمة، بأن

---

59 هود: 114.

يرفعوا أصواتهم ويكرروا بالقول: "**لَبّيك اللهم لَبّيك**"؛ إذا فلا يجوز للإنسان أن يرفع صوته بشكل يؤذي الآخرين إلا في مواردِ معدودة، وتشتد الحرمة هذه على الإنسان إذا تقارَنَ التهديد والتخويف مع الصوت المرتفع.



من آداب الحديث مع النبي ﷺ (1)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[60] الآية:(3).

* * *

من وحي الآية

* كلمة (غَضّ) بمعنى خَفَضَ، فإن خفض الصوت علامة للأدب والتواضع والوقار والصفاء والمحبة إلى الآخرين.

ربنا سبحانه وتعالى يمتحن عباده الصالحين وذلك لكي يعطيهم الأجر الكبير في الدنيا والآخرة، والامتحان الإلهي ليس لمعرفة من يستحق الأجر، إذ ربنا عز وجل يعلم المحسن والمسيء، بل لأجل أن يُظهر الإنسان المحسن نفسه لكي يكون

---

60 الحجرات: 3.

مُؤهلاً لنيل الجائزة الإلهية. الجزاء الإلهي ليس على أساس علم الله تعالى، بل على أساس عمل الإنسان وسعيه، فإذا عَلِم أن فلان بن فلان سوف يرتكب ذنباً، فانه تعالى لا يعاقبه حتى يصدر الذنب من المذنب ثم يُعاقبه.

فكذلك الأمر بالنسبة للإنسان، فإذا أعطى قماشاً للخياط، فانه لا يعطيه أُجرة الخياطة، حتى يُخيط القماش له، إذا فالمراد من الامتحان الإلهي في الآيات القرآنية والروايات هو ظهور العمل من الإنسان على واقع التطبيق لكي يحصل على جزاءه، والمراد من الامتحان في هذه الآية هو الامتحان القلبي، إذ هناك الكثير من الناس يُظهرون التواضع والأدب تجاه الآخرين، ولكنهم متكبرون قلبياً.

* جاءت آيات الجزاء الإلهي في القرآن الكريم مع ذكر صفة الـ﴿**كريم**﴾، ﴿**عظيم**﴾، ﴿**كبير**﴾، ﴿**غير ممنون**﴾، ﴿**نِعمَ أجر**﴾ وأنها تشير إلى أن جزاءه نابع من رحمته ولطفه الواسع.

دروس من الآية:

1 - يجب توبيخ العاصي، وفي نفس الوقت لابد من تشجيع المؤدب والصالح.

في الآية السابقة توجه التوبيخ للأشخاص الذين كانوا يرفعون

أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، ولكن في هذه الآية، والآيات التالية تُوجِّهُ الشكر والجزاء الحسن للأشخاص المؤدبين، لذا فالتوبيخ والتأديب لابد أن يكونا معاً دائماً.

2- الأدب الظاهري علامة التقوى الباطنية ﴿**الَّذِينَ يَغُضُّونَ...امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى**﴾ كما قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: "**ما اضمر أحدٌ شيئاً إلا وظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه**".

3- احترام النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام لازال باقياً كما هو، فلابد أن نصلي عليه دائماً، وأن نزور مرقده، ونعظم ذريته أينما كانوا، وهكذا نحترم ونكرم الذين يحملون رسالته، ويوصلونها إلى مختلف بقاع الأرض.

4- الاحترام والأدب الموقت لا قيمة له، فالآية تدعوإلى الاستمرار والمواصلة الدائمة والعميقة، إذ أن الفعل جاء بصيغة المضارع ويدل على الاستمرار، قال تعالى: ﴿**يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ...**﴾.

5- المغفرة تتقدم دائماً على الأجر في الآيات القرآنية، فإن لو لم يتطهر القلب من الذنوب فلا يمكن له استقبال الأجر الإلهي، قال تعالى: ﴿...**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾.

آداب الكلام:

كما يأمرنا الإسلام بأن نكون مؤدبين في كلامنا مع النبي ﷺ فكذلك الأمر بالنسبة مع الآخرين فمن جملة الآداب التي يأمرنا الإسلام بها:

1- أن يكون الكلام متقارناً إلى العمل، وإلاّ فلا قيمة لذلك الكلام، قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ**﴾[61].

2- لابد أن يكون الكلام دقيقاً وصحيحاً، يذكر لنا القرآن الكريم في قصة سليمان ﴿على نبينا وآله عليه السلام﴾ أنّ الهدهد قال له: ﴿**...وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾[62].

3- أن يكون طيباً، قال عز وجل: ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ**﴾[63].

4- أن يكون بليغاً ﴿**قَوْلاً بَلِيغاً**﴾[64].

5- وليناً ﴿**..فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً...**﴾[65].

---

61 الصف: 2.

62 النمل: 22.

63 الحج: 24.

64 النساء: 63.

65 طه: 44.

6- أن يكون باحترام وتكريم، قال تعالى: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً﴾[66].

7- أن يكون سهلاً ﴿...قَوْلاً مَيْسُوراً﴾[67].

8- أن يكون حسناً مع جميع الناس لا مع طبقة معينة فقط، قال تعالى: ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[68].

9- اختيار الكلام الجيد وبأسلوب مناسب: ﴿...يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[69].

10- الابتعاد عن اللغو والباطل، قال تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ...﴾[70]، وقال ﴿...عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[71].

صور من الآداب الإسلامية

تحدثت هذه الآية عن الذين يغضون أصواتهم عند النبي ﷺ، وأن الله سبحانه وتعالى سوف يجازيهم الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وإليك الآن صورتان من الأدب وصورة عن الأدب السيء، كما ذكر لنا التأريخ:

66 الإسراء: 24.
67 الإسراء: 28.
68 البقرة: 83.
69 الإسراء: 53.
70 الحج: 30.
71 المؤمنون: 3.

1- لَمّا أكل نبي الله آدم عليه السلام وزوجته من الشجرة التي نُهوا عن الأكل منها، وُجّه اللوم والتوبيخ لهما، فندم آدم وزوجته على عملهما هذا، وطلبا من الله تعالى التوبة والعفو، ربنا سبحانه وتعالى قَبِلَ توبتهما، هذا الاعتذار هو نوع من الأدب وهو الذي أدّى إلى نجاتهما.

2- كان الحر بن يزيد الرياحي مؤدباً في كلامه مع الإمام الحسين عليه السلام في جميع المواقف، واشترك في اليوم العاشر من المحرم سنة 61 للهجرة في صلاة الجماعة خلف الإمام عليه السلام، ولما كان الإمام عليه السلام في طريقه نحو كربلاء، ضيّق الحُر المسيرَ على الإمام عليه السلام، فقال له الإمام عليه السلام: ثكلتك أمك يا حر، لم يجب الحر على كلام الإمام عليه السلام وإنما قال: لو لم تكن أمك الزهراء عليها السلام، لقلت مثل ما قلت، هذا الاحترام والأدب العالي مع الإمام عليه السلام كان السبب الرئيسي في توبته وحسن عاقبته.

3- امتنع إبليس من السجود لآدم عليه السلام، ولم يُقدّم التوبة والاعتذار لله تعالى عن عدم سجوده لآدم، بل أَصَرَّ على تكبره وغروره حيث قال ﴿**أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾، بينما هو عصى الله سبحانه وتعالى فيما أمر به، ولم يقدم اعتذاراً له، لهذا السبب أصبح مورد اللعن إلى قيام يوم الدين.

امتيازات الجزاء الإلهي

الهدايا والجوائز البشرية قصيرة المدة، وصغيرة، سرعان ما تندثر وتنتهي، وأنها لا تخلو من المنّةِ، ثم إن البشر سواء الزوجة والولد والشريك والصديق والمعلم والحكومة وغيرهم لا يعلمون الكثير من أعمالنا ليجازوننا بها، وأحياناً قد يطلع البعض على بعضها وذلك لحسده، ولكنه يغض عنها بدل المكافئة الصالحة، وأحياناً يبخل البعض ولا يعطي هدية، والآخر لا يعطي شيئاً لفقره، وآخر ينظر إلى العيوب والنواقص الموجودة في العمل، ولهذا لا يُكافي العامل شيئاً، بينما قد يحصل البعض الآخر على هدايا وجوائز وذلك إذا صفق أو مدح الطرف المقابل كثيراً.

هذه الخصال الرديئة بعيدة عن رب العزة تبارك وتعالى، ربنا سبحانه وتعالى يقبل القليل جداً **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ...﴾** ويقبل المعيوب، حيث نقرأ في الدعاء بعد الصلاة "**اللهم إن كان فيها خلل أو نقص في ركوعها أو سجودها فلا تؤاخذني وتفضل علي بالقبول والغفران برحمتك يا أرحم الراحمين**".

ربنا سبحانه وتعالى يستر النواقص والعيوب، ويظهر الحسنات وإن كانت قليلة، ولهذا نقرأ في الدعاء "**يأمن أظهر الجميل وسَتَر القبيح**"، الله سبحانه وتعالى يجازينا على أعمالنا بالجنة الخالدة، بينما الآخرون يجازوننا بتشجيع قليل زائل.



من آداب الحديث مع النبي ﷺ (2)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿4﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[72] الآية: (4-5).

* * *

من وحي الآية

* بالرغم من عدم وجود اليوم مسألة مناداة النبي ﷺ من وراء الحجرات، ولكن في الآية المباركة دروسٌ حياتية عظيمة لجميع المكلفين، نقرأ في تفسير روح المعاني، أنَّ ابن عباس (رضوان الله عليه) ذهب يوماً إلى بيت أستاذه، ووقف عند الباب ولم يطرقه حتى يخرج إليه أستاذه، فقالوا له: لماذا لا تطرق الباب؟ قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ﴾، الآية المباركة

72 الحجرات: 4 – 5.

نزلت في شأن النبي صلى الله عليه وآله، ولكن استفاد ابن عباس منها، وجعلها درساً له، ولجميع من يريد الأخذ بالآداب الإلهية.

وبعد هذا لا يصح أن يأتي شخص ليقول إنَّ أبا لهب غير موجود في حياتنا الحاضرة، إذا فما معنى قوله عز وجل ﴿**تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ**﴾؟ الآية ذكرت أبا لهب وأنه هلك وفشلت مساعيه دون أن يصلَ إلى ما كان يقصده، فلذا فإن المقصود من ذكره الآن هو أخذ الدروس والعِبر منه لردع كل من يحمل فكرة أبي لهب ويتابع أعماله، حيث كان يمتلك جميع الإمكانيات الدنيوية للوقوف أمام نور الرسالة المحمدية، ولكنه صُرع أمام الحق، لأنه أقوى منه، حيث قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: "**من صارع الحق صرعه**"، فعندما نقرأ الآية اليوم: نجدها تقول للذين يتبعون منهج أبي لهب في الحياة: ما لكم لا تتعظون بقدوتكم أبي لهب؟!، هل وصل إلى ما كان يريد مع أنه كان يمتلك الكثير فاعتبروا يا أولي الأبصار.

* بيت النبي صلى الله عليه وآله كان يتألف من تسع غرف، سقفها من جريد النخيل، وعلى كل باب ساتر من شعر الماعز، طول الغرفة 5 أمتار وارتفاعها 4 أمتار تقريباً، هُدمت هذه الآثار النبوية في زمن الوليد بن عبد الملك، وضمت إلى المسجد، ارتفعت أصوات البكاء في يوم تخريبها، قال سعيد بن مسيب: تمنيت لو أن هذه الغرف لم

تُهدم وبقيت على حالها، لكي تستعبر الأجيال القادمة من الحياة البسيطة للنبي ﷺ[73].

دروسٌ من السورة

1- لابد أن نعطي لكل شَخص قيمَتَهُ، والقيام بأعمال تخالف ذلك، خلاف العقل والأدب، قال تعالى: ﴿يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ﴾.

2- ليس كل من يسيء الأدب مرة نعتبره ضعيف العقل، بل الأشخاص الذين كانوا ينادون النبي ﷺ من خارج بيته مستمراً ليخرج لهم، كانوا ضعيفي العقل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.

3- الإنسان الذي تَعَودَ على التكلم بصوت عالٍ ولا يقصد من ذلك إهانة وتحقير الآخرين، فهو خارج من دائرة الغير مؤدبين، وغير مشمول بقوله تعالى: ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾، فكثيراً ما نرى الوالدين يتكلمون مع ولدهم الصغير بصورة عادية جداً، ولكنهم لا يقصدون بذلك السوء والأذى لولدهم، فهم ليسوا قليلي الأدب.

---

73 تفسير روح المعاني في شرح الآية، نقلاً عن طبقات ابن سعد.

4- الاستخفاف بالعالم الرباني ورفع الصوت عليه، دليل على ضعف وعدم العقل ﴿الذين يُنادُونَكَ...لا يَعْقِلُونَ﴾.

5- من ازداد عقله، ازداد أدبه، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: "**لا عقل لِمَن لا أدب له**"[74].

6- تنبيه وانتقاد المسيء، أحد الطرق المفيدة للتربية والإصلاح ﴿الَّذِينَ يُنادُونَكَ...أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.

7- عندما تتكرر المخالفة، يجب توبيخ المخالف ﴿يُنادُونَكَ...لا يَعْقِلُونَ﴾.

8- يجب احترام أوقات الآخرين، إذ أن النبي صلى الله عليه وآله يحتاج أيضاً إلى الاستراحة والهدوء وقضاء حوائجه المنزلية، ولا يصح للناس أن يذهبوا إليه في أي وقت شاءوا مما يسببوا له الحرج والأذى ﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا...﴾.

9- الصبر علامة الأخلاق والأدب ﴿...صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ...﴾.

10- تعيين وقت الالتقاء بالقادة والعلماء ينبغي أن يكون باختيارهم لا باختيار الناس والمراجعين ﴿...حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾.

---

74 غرر الحكم.

11- عندما يعين القادة وقتاً لملاقاة الناس، فلا يصح من الناس بعدها رفع أصواتهم، ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾.

12- يجب عدم بعث روح اليأس في نفوس الغير مؤدبين، بل لابد من الدخول عليهم من باب الرحمة والعفو والشفقة وأن ندعوهم إلى التغيير والإصلاح ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا...وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.



كيف نتعامل مع خبر الفاسق

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾[75] الآية: (6).

* * *

من وحي الآية

* سؤال: تأمُرُ الآية المباركة المؤمنين بالتحقيق والتبيّن الكامل عند سماع الخبر، ولكن الآية (12) من هذه السورة تُحرمُ التجسس في أمور الناس، هل يمكن أن يكون التحقيق واجب والتجسس حرام في وقت واحد؟

الجواب: لما حرمت الآية (12) التجسس وذلك لأنه متعلق بسلوك الشخص الواحد، الذي ليس له تأثيرٌ كبيرٌ على المجتمع،

---

75 الحجرات: 6.

والآية المتقدمة عندما تأمر بالتحقيق لأنها ترتبط بالمجتمع، فلو تركنا العمل في هذا الأمر، فإننا سوف نُعرِّضُ المجتمع للفتنةِ والخطر، فكل أمر يتعلق بأساس نظام الإسلام أو الأمة الإسلامية، تجب التحقيق حوله حتى لا تبتلى الأمة ببلاء عظيم ونكون على ذلك من النادمين.

دروس من الآية

هناك دروس كثيرةٌ في هذه الآية المباركة، ولكن نُشير إلى بعضها:

1- إذا أردت أن تأمُرَ شخصاً بعمل ما، فأمره مع الاحترام الكامل له: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**.

2- ليس جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله عدولاً، بل كان فيهم الكثير من المنافقين، وأصحاب المطامع الدنيوية، قال تعالى: **﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ...﴾**.

3- لا مانع من فضح الفاسقين والذين يريدون زرع الفتن في المجتمع، **﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ﴾**.

ولو أن المفسرين قالوا بأن المراد من الفاسق في الآية هو الوليد بن عقبة.

4- يحترم الإسلام الناس ما داموا يحترمون أنفسهم، ولكن إذا فضح الإنسان نفسه وأصبح معروفاً لدى الجميع بفسقه، فلا يبقى له قيمة عند الله ورسوله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وسوف يكون منبوذاً في المجتمع الإسلامي. ﴿.. **إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ**..﴾.

5- سبب حدوث الكثير من المصائب في المجتمع، أمران، الأول: عمل الفاسق، الثاني: تسرع المؤمن في قبول كلام الفاسق. ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ**..﴾.

6- المؤمنون لا يذهبون إلى الفُساق لأخذ الأخبار منهم، ولكنَّ الفُساقَ هم الذين يأتون إلى المؤمنين بأخبارهم الضالة، فلذا يجب الحذر الكامل. ﴿**إِنْ جاءَكُمْ**..﴾.

7- لا يجب التحقيق في جميع الأخبار التي تُسمع، إلاّ المهم منها فقط ﴿..**بِنَبَإٍ**﴾ وهو الخبر المهم والمفيد.

8- لا يتلائم الإيمان مع سرعة القبول ﴿**آمَنُوا**... **فَتَبَيَّنُوا**﴾.

9- لا يصح تأخير التحقيق والتبيُن ﴿...**فَتَبَيَّنُوا**﴾ حرف ﴿**الفاء**﴾ يدعو إلى سرعة الإقدام على العمل.

10- يمكن أن يتعرض المجتمع الإسلامي إلى انتشار الشائعات السيئة فيه، فلابد للمؤمنين أن يترصدوا لها، ويتحققوا

في تلك الأخبار بالشكل المطلوب ﴿..إِنْ جاءَكُمْ...فَتَبَيَّنُوا﴾.

11- قد يأتي الفاسق بخبر صحيح، فلا تكذبوا جميع أخباره، لذا يجب التحقيق في ذلك ﴿فتبينوا﴾.

12- علاج المفاسد والمعضلات الاجتماعية في يقظة الأمة الإسلامية أمام المخاطر والمساوئ ﴿فَتَبَيَّنُوا..﴾.

13- لابد من تنبيه الفساق بعملهم الباطل، وأن لا ندع المجتمع واقعاً تحت تصرفهم، بل يجب التضييق عليهم كاملاً، ويكون هذا مع السعي والجد والتحقيق في جميع الأمور.

14- المدير الصالح هو الذي يعالج المفاسد قبل وقوعها وانتشارها، ويكون أولاً بالتحقيق ثم العمل ﴿...فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا...﴾.

15- بيان فلسفة وسر الأحكام الإلهية، دافع كبير للناس نحو التوجه إلى أداء الواجبات الإلهية، والابتعاد عن المعاصي والفتن ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا﴾.

16- إن الهدف من وراء أخبار الفاسق هو إيجاد الفتنة والفوضى في المجتمع الإسلامي ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً﴾.

17- إذا قَبل المجتمع المسلم بخبر الفاسق من دون أن يتحققوا فيه، فإن الخبر قابل على تدميرهم بصورة كاملةٍ

﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً...﴾.

18- الأخذ بالأمور من دون التحقيق والدراسة نوع من الجهل ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ﴾.

19- تطبيق الأوامر الإلهية يجنّب الإنسان عن الوقوع في المصائب والندم، فلابد من التحقيق في الأمور لكي لا نندم بعدها ﴿فَتَبَيَّنُوا...نادِمِين﴾.

20- نتيجةُ العمل الغير محقق هو الندم ﴿نادِمِينَ...﴾.

ما هو الفسق ومن هو الفاسق:

الآية المباركة تأمرنا بالتحقيق عند سماع الخبر من الفاسق، فلأجل الوصول إلى هذا الأمر، لابد أن نعرف من هو الفاسق، وكيف يمكن معرفة الخبر الصادق من الكاذب.

* الفسق في اللغة يعني الانفصال، وفي الاصطلاح القرآني يعني الخروج من الطريق المستقيم، وهذه الكلمة تستخدم أيضاً في مقابل كلمة العدالة، فتطلق كلمة الفاسق على الذي يرتكب الذنوب الكبيرة، ولا يتوب منها.

* استخدمت كلمة ﴿الفسق﴾ في القرآن (54مرة) وبصيغ مختلفة، منها:

1- استُخدِمت حول الانحراف الفكري والعقائدي، حيث أطلق القرآن هذه الكلمة على فرعون وقومه قال عز وجل: ﴿**إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ**﴾[76].

2- أُطلِقت على الأشخاص المتلونين أو المنافقين، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ**﴾[77].

3- أُطلقت أيضاً على الذين كانوا يؤذون الأنبياء عليهم السلام ولا يطيعون أوامرهم، فمثلاً أطلقت على بني إسرائيل عندما كانوا لا يسمعون كلام موسى عليه السلام، ويُؤذونه، قال عز وجل: ﴿...**قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها...الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ**﴾[78].

4- تُطلق على الذين لا يحكمون، ولا يقضون بما أنزل الله تعالى، قال عز وجل: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ**﴾[79].

5- أطلقت على المحتالين أيضاً، ﴿...**بِما كانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[80].

6- أطلقت على الذين يتركون الأمر بالمعروف والنهي عن

---

76 النمل: 12.

77 التوبة: 67.

78 المائدة 24-26.

79 المائدة: 47.

80 الأعراف: 163.

المنكر، قال تعالى: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ﴾[81].

7- أطلقت على الذين يُحبُون ويُرجحون الأولاد والأقارب والتجارة والمساكن والأمور المادية على الجهاد في سبيل الله، قال عز وجل: ﴿...إِنْ كانَ آباؤُكُمْ و...أَحَبَّ...وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾[82].

8- أطلقت على الانحرافات الجنسية والشذوذ، حيث أطلقت على قوم لوط الذين كانوا يأتون باللواط في مجالسهم وبصورة علنية ومن دون أي خجل وحياء، قال تعالى: ﴿...رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ﴾[83].

9- أطلقت على تناول الأطعمة المحرمة، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ...ذلِكُمْ فِسْقٌ﴾[84].

10- استخدمتْ على الذين يتهمون النساء الطاهرات بالزنا، قال تعالى: ﴿...يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ...أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾[85].

---

81 الأعراف: 165.

82 التوبة: 24.

83 العنكبوت: 34.

84 المائدة: 3.

85 النور: 4.

كيف نتعامل مع الفاسق

1- الآيات القرآنية والروايات الصحيحة تحذر وتمنع المسلمين من مصاحبة الفاسقين، حيث جاء عن الإمام الصادق، والإمام الباقر، والإمام السجاد عليهم السلام النهيَ عن مصاحبة الفاسق، حيث إنه يبيع صاحبه بأقل من قطعة خبز صغيرة، ولا وفاء له أبداً[86].

2- قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: "**لا تقبل شهادة الفاسق**"[87].

3- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لا غيبة على الفاسق** (وهو الذي يأتي بالمعاصي بصورة علنية)[88].

4- وقال النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله: **لا تستجيبوا لدعوة الفاسق**[89].

---

86 راجع الكافي: ج2، ص376.

87 راجع وسائل الشيعة: ج27، ص394.

88 راجع مستدرك الوسائل: ج1، ص138.

89 راجع من لا يحضره الفقيه: ج4، ص3.

التحقيق دواء لأمراض المجتمع

واجه الأنبياء والمصلحون في مسيرتهم الإصلاحية في المجتمع، الكثير من الأمراض الروحية والأخلاقية، وهكذا يواجه المصلحون اليوم هذا الأمر بالرغم من التطوير العلمي الكبير الذي حصل في حياة الناس، وفي شتى المجالات سواء في الاقتصاد أو في الاجتماع أو غير ذلك، ولا زالت هذه الأمراض باقية على قوتها وفاعليتها بين الناس، منها:

1- التقليد الأعمى للأمور التي يرون فيها جمالاً ورونقاً، سواء في الآداب أو العادات أو الرسوم الخرافية.

2- الإتباع الأعمى للشائعات والرؤى والتحليلات الغير واقعية.

3- اتخاذ المواقف الارتجالية والحكم على الآخرين بدون علم، أو مدح الآخرين وانتقادهم بدون علم، أو التكلم والكتابة بدون علم واطلاع كافيين.

هذه الآية المباركة التي تأمر بالتحقيق والدراسة للأمور، تعتبر ذلك الدواء والعلاج المفيد لجميع هذه الأمراض، فإذا كان المجتمع ينظر إلى الأمور بدقة وإمعان وتفكير ودراسة، فسوف تُزال عنه هذه البلايا بشكلٍ كاملٍ.

صورةٌ مؤلمةٌ

بعد انتهاء معركة خيبر، أرسل النبي الأكرم محمد ﷺ أسامة بن زيد مع مجموعة من المسلمين إلى اليهود الذين كانوا في إحدى قرى فدك، لدعوتهم إلى الإسلام، أو قبول شرائط الذمة، غير أن أحدهم واسمه (مرداس) لما سَمع بالخبر، حمل عائلته وأمواله والتجأ إلى أحد الجبال، فلما رأى المسلمين أخذ يقول "**لا إله إلا الله محمد رسول الله**"، فظن أسامة بن زيد بأن هذا الشخص أظهر الإسلام خوفاً، وإنه لم يؤمن إيماناً حقيقياً، لهذا تقدم إليه وقتله، فلما سمع النبي ﷺ بهذا الأمر تألم كثيراً، ثم نزلت الآية المباركة: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾[90].

الدقةُ في العمل

* يؤكد الإسلام على الدقة في العمل في جميع الأمور وبكل شدة وحزم، فمن الأمور التي يؤكد عليها:

---

90 النساء: 94.

1 - لا يجوز التقليد في أصول الدين، وسائر المسائل العقائدية، بل لا بد من استخدام العقل والفطرة السليمة فيها.

2 - اعتبر العصمة أو العدالة في القائد الإسلامي إلى جانب الشروط المهمة الأخرى.

3 - أحد الأمور اللازمة لمرجع التقليد بالإضافة إلى علمه وعدالته أن يكون بعيداً عن حب الدنيا، وأن لا تُؤثر فيه الأهواء، وأن يمتلك البصيرة والعلم بأمور المسلمين في جميع نقاط العالم، بالإضافة إلى الإطلاع السياسي العام للمجتمعات الأخرى.

4 - لابد أن لا يكون القاضي فقيراً في أموره الاقتصادية، لكي لا يدفعه الفقر إلى التفكير بأخذ الرشوةِ، هذا بالإضافة إلى وجوب امتلاكه للعلم والعدالة والشجاعة.

5 - أطول آية في القرآن موجودة في أواخر سورة البقرة، هي تتحدث عن تنظيم الأمور المالية والمعاملات بين الناس.

6 - يؤكد الإسلام على الدقة حتى عند دفن الميت، فقد رأى بعض المسلمين النبي صلى الله عليه وآله يدقق في بناء قبر أحد المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، إنَّ هذا مكان دفن الميت، فلماذا هذا التأكيد على حُسن بناء قبره؟ فقال صلى الله عليه وآله: إن الله يحب المسلم إذا عمل عملاً أن يتقنه.

7- يصرح القرآن الكريم بأنه: إذا أردتم الحديث فقولوا الكلام الحق والمنطقي الذي يقبله العقل:

قال تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدا﴾**[91].

الأخبار في الإسلام

يُؤكد الإسلام كثيراً على الخبر الذي يسمعه الإنسان المسلم، منها:

أ- يقول لنا القرآن الكريم: **﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾**[92].

ب- انتقد القرآن الكريم بشدة أولئك الذين ينشرون ما يسمعون من دون أن يتحققوا، ويأمر بإرجاع الخبر إلى أهل العلم والاستنباط، قال تعالى: **﴿وَإذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾**[93].

---

91 الأحزاب: 70.

92 الإسراء: 36.

93 النساء: 83.

ج– هدّد القرآن الكريم بالعقاب الصارم للمكذبين، والذين يشيعون البلبلة والكذب في المجتمع، قال تعالى: **﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ...﴾**[94].

د– قال النبي الأكرم ﷺ في السنة الأخيرة من عمره الشريف وهو في سفر الحج: " **لقد كثرت عليَّ الكذابة وستكثر، من كذب عليَّ فليتبوء مقعده من النار، ما جاءكم مني أعرضوه على كتاب الله وسنتي، ما وافقهما خذوا وما خالف ردّوه**"[95].

هـ– الإمام الصادق عليه السلام لَعَنَ أولئك الذين نسبوا الأخبار الكاذبة لأبيه الإمام الباقر عليه السلام وقال: " **ما سمعتم منا إذا كان له شاهد من القرآن أو سائر أحاديثنا الأخرى، اقبلوه، وإلاّ فلا تقبلوه**"[96].

و– قال الإمام الرضا عليه السلام: سند أحاديثنا القرآن وسُنَّةُ رسول الله ﷺ[97].

---

94 الأحزاب: 61.

95 راجع بحار الأنوار: ج2، ص225.

96 البحار: ج2، ص250.

97 راجع البحار: ج2، ص250.

ز- أحد العلوم الإسلامية المهمة علم الرجال، حيث يعرف العلماء عبر هذا العلم الخبر الصحيح من السقيم، ويُقَيّمون الأشخاص الذين ينقلون الأحاديث هل أنهم ثقات وعدول أم لا.

طرق التحقيق

يحتاج الإنسان عبر قطعه لمسيرة حياته إلى التحقيق والعلم في جميع الأمور التي تقع أمامه، لكي لا يقع في المطبات المهلكة، وبما أن الإسلام دين جامع لأمور الحياة، فلهذا بَيّنَ الأمور الصحيحة من السقيمة، ثم بَيّنَ اللوازم التي يحتاجها الإنسان لأجل معرفة صحة المستجدات والمسائل الغامضة، منها:

1- مراجعة الكتب والمصادر الموثوقة عند الآخرين للاحتجاج بها عليهم، حتى أن النبي صلى الله عليه وآله استشهد بالتوراة والإنجيل لنفسه في خطابه لأهل الكتاب، قال عز وجل: ﴿**الّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِيّ الأُمّيّ الّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**...﴾[98].

2- مراجعة العلماء الصلحاء، قال تعالى: ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾[99].

---

98 الأعراف: 157.

99 النحل: 43، الأنبياء: 7.

3- طلب الشهادة من شاهدين عادلين، قال عز وجل: ﴿ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[100].

4- التحقيق الشخصي: حيث يستطيع الإنسان بنفسه معرفة الكثير من الأمور الغامضة؛ وذلك إذا بذل بعض الجهد، كما تحقق النجاشي حول المسلمين المهاجرين الذين طلبوا اللجوء عنده.

5- الاستفادة من القرائن: قد يصل الإنسان إلى معرفة حقيقة الشيء، وذلك إذا استفاد من الآثار والأمور المحيطة، فمثلاً من نوع الكلام وأسلوبه، من الرفيق الملازم، من الزمن، من مكان الحادث، من طريقة العمل، فمثلاً نرى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا وظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه، فمثلاً إذا أردنا أن نعرف شخصية النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله فيمكن لنا معرفة عظمته من خلال الأمور التالية:

أ- أنه لم يدرس في مدرسة كيف يواجه أهل الأصنام، ولكن نهض وحارب عبادة الأصنام.

ب- كلامه القرآن ولم يستطع أحد أن يأتي بمثله.

ج- كان معروفاً بالصادق الأمين.

د- كانت أخلاقه عالية جداً.

---

100 المائدة: 95.

هـ- أصحابه أفضل الناس.

و- سلوكه يوم فتح مكة كان العفو والصفح.

ر- أوامره ونواهيه لجميع الخلق على الأرض.

ق- كان عمله على أساس الحق.

هذه الأمور تدل على صدق وصفاء الرسالة المحمدية وهكذا صدق نبينا محمد ﷺ.

6- أن لا يكون في الكلام تناقض وتضاد، بل لابد أن يسند بعضه بعضاً.

7- أن يتلائم كلامه مع كلام الآخرين، مثلاً إذا نقل شخص مضمون حديث للنبي ﷺ، فإذا كان هذا المضمون متلائماً مع كلام الحكماء والعلماء، يفهم من ذلك أن كلامه صحيح.

8- الحصول على المعرفة من خلال إرسال الأشخاص المختصين، كما كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يرسل الأشخاص الصالحين لتفقد أمور الضعفاء والمحتاجين، روي عنه أنه قال "عَيني بالمِغرب".

9- الاستفادة من رأي الناس يمكن أن يكون سنداً للوصول إلى الحقيقة والصواب، حيث قال أمير المؤمنين في أحد كُتُبِهِ

"...بلغني إنك...".

10- الاستفادة من ثقة الآخرين، فإذا صلى جماعة من الصالحين خلف شخص من الأشخاص صلاة الجماعة، يمكن عن هذا الطريق الاعتماد على الإمام والصلاة خلفه.

11- تأريخ الإنسان، أو صفحات حياته الماضية يمكن أن تكون سنداً في التحقيق حول الأشخاص، فكما أنَّ النبي ﷺ كان يقول للناس لماذا لا تسمعون كلامي وأنتم تعرفونني حق المعرفة، قال تعالى: ﴿...فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾[101].

الكذب

الآية تحدثت حول التحقيق ومتابعة صدق وكذب الأخبار، فلكي تتسع دائرة المعرفة لدينا فينبغي أن نتعرف بشيء عن صفة الكذب:

1- الكذب نوع من النفاق، لأن الإنسان يقول ما ليس في قلبه وضميره، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[102].

---

101 يونس: 16.

102 الفتح: 11.

2- أحياناً يتحول الكذب إلى تُهمة باطلة تُوَجّه إلى إنسان بريء صالح، ﴿...قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[103].

3- أحياناً يكون الكذب بصورة الحلف، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ...﴾[104].

4- يظهر الكذب أحياناً بصورة البكاء، كما جاء أخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم ليلاً، قال تعالى: ﴿وَجاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ﴾[105].

5- أحياناً يكون الكذب بالعمل لا باللسان، فقد جاء أخوة يوسف عليه السلام على قميصه بدم كذب، قال تعالى: ﴿وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾[106].

6- الإسلام يمنع الناس مِنَ الكذب في حالة المزاح[107].

7- الكذب مفتاح الكثير من الذنوب[108].

---

103 يوسف: 25.

104 التوبة: 74.

105 يوسف: 16.

106 يوسف: 18.

107 راجع الكافي: ج2، ص338.

108 راجع الكافي: ج2، ص337.

8- لا يجد الكذاب طعم وحلاوة الإيمان،[109] وانه يسبب فساد الإيمان لدى الشخص[110].

9- روي عن الإمام الباقر عليه السلام (مضمون الحديث): **تجنب الصديق الكذاب فإنَّهُ كالسراب.**

109 الكافي: ج2، ص340.
110 الكافي: ج2، ص339.



حب الإيمان وكره الكفر والفسوق والعصيان

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿7﴾ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[111] الآية: (7 – 8).

* * *

من وحي الآية

* تقدم فيما سبق أن (الوليد بن عقبة) جاء بخبر كاذب إلى النبي صلى الله عليه وآله، أن إحدى القبائل تمردت على قبول الإسلام، فثار المسلمون وأقبلوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وهم يتوقعون بأنه سوف يؤيدهم، فنزلت الآية تأمر أولاً بالتحقيق ودراسة الخبر الذي جاء به ذلك الشخص الفاسق، وثانياً أن الناس هم الذين يجب

111 الحجرات: 7 – 8.

أن يتبعوا النبيﷺ، لا النبيﷺ يكون تابعاً لأحاسيسهم الغير ناضجة التي ظهرت بفعل خبر شخص فاسق.

* نقرأ في الروايات: أعرف مدى إيمانك بالله سبحانه وتعالى من خلال حُبّك وعلاقتك بإخوانك المؤمنين، فإذا كانوا محبوبين عندك فاعرف انك على خير، وإذا كنت تحب أهل المعصية فاعلم أنه لا خير فيك[112].

* نقرأ في الروايات أيضاً: أن المُرادَ من الإيمان في قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان...﴾ محبة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، والمراد من الكفر والفسوق والعصيان، محاربةا أهل بيت النبي عليهم السلام[113].

* قال الإمـام الصادقعليه السلامعن رسول اللهﷺ (مضمون الحديث) مَن تَصَوّر أن النِعّمَ الإلهية هي ما يلبسه الإنسان ويأكله ويتمتع به و... فإن عمله قصير وعذابه قريب.

* وجاء في حديث آخر: إنَّ من يتصور الارتباط بالمعنويات والابتعاد عن المعاصي ليست بنعمة كبرى فإنه من الكافرين بنعمة الله، وعمله ناقص، وسعيه ضال[114].

112 راجع الكافي: ج2، ص126.

113 الكافي: ج1، ص426.

114 راجع البحار: ج74، ص158.

* الرشد، هدية إلهية أعطيت للأنبياء، قال تعالى: ﴿...آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ﴾[115].

وعمل الأنبياء عليهم السلام هو نقل الرشد للآخرين، قال تعالى: ﴿يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾[116]، وهم أيضاً كانوا يبحثون عن كمال الرشد، فنرى نبي الله موسى عليه السلام يسير خلف الخضر عليه السلام لكي يصل إلى الرشد: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[117]، والإيمان هو أساس الرشد ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[118]، فالرشد في القرآن هو الرشد المعنوي، وليس في الحصول على المتع الدنيوية، وإنَّ من يتصور الرشد بهذا فإنه دليل على قصر نظره وعقله.

* المدير والمدبر لأمور المجتمع، إذا لم يكن معصوماً أو عادلاً، يخاف من ربه سبحانه وتعالى، فانه سوف يطغى ويستبد في أفكاره الغير رشيدة، قال عز وجل: ﴿وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[119] ولكن إذا كان الحاكم معصوماً أو عادلاً، فإنه سوف ينشر الخير والرشد في المجتمع، قال عز وجل: ﴿أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

---

115 الأنبياء: 51.

116 غافر: 38.

117 الكهف: 66.

118 البقرة: 186.

119 هود: 97.

دروسٌ من الآية

1- إذا أردت أن لا تندم في حياتك فاتبع سُنّة الأنبياء عليهم السلام، الآية السابقة تحدثت حول الندامة، وهذه الآية قالت: بما أن النبي ﷺ بين أيديكم فاتبعوه كي لا تندموا غداً، قال عز وجل: ﴿...نادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ...﴾.

2- وجود النبي والقائد الإلهي في المجتمع، يعطي للمجتمع امتيازاً كبيراً، فنرى الآية تقول: ﴿...فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ﴾ ولم تقل رسول الله فيكم.

3- يجب أن يكون القائد قريباً من الناس، وأن يعرف الناس قَدرَه ويتمسكوا بسيرته بالصورة المطلوبة، ﴿أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ...﴾.

4- لا بأس أن ينتظر المجتمع مشورة النبي ﷺ معهم، أما أن يطلبوا من النبي أن يكون مطيعاً لهم فهو أمرٌ غير صحيح ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ...لَعَنِتُّمْ...﴾.

5- مشكلات الناس نابعة من ابتعادهم عن أوامر الأنبياء عليهم السلام وإتبّاعهم لأهوائهم وأفكارهم الشخصية ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ...لَعَنِتُّمْ...﴾.

6- القائد الإسلامي يجب أن يتمتع باستقلالية الرأي، فلو أخذ

يميل مع أمواج الفتن والرغبات والتيارات الفكرية المتعددة، فإن رأيه سوف يضعف، وسوف يواجه المجتمع المشاكل الصعبة قال تعالى: ﴿...لَوْ يُطِيعُكُمْ...لَعَنِتُّمْ...﴾، والعدو يُريد لنا هذا الأمر، وهو حدوث التخلخل في القيادة والمجتمع، حيث قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿...وَدُّوا ما عَنِتُّمْ...﴾[120].

7- الميل إلى آراء الناس في بعض الأحيان تكون ضرورية ﴿...فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ...﴾ لم يقل في جميع الأمور.

8- في الموارد التي لم ينزل فيها حكم من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ويمكن فيها أخذ رأي الآخرين، فلا مانع عندها من النظر إلى رأي الآخرين ﴿...فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ...﴾، فعلى هذا الأساس فإن إطاعة رأي المجتمع في بعض الأمور ليست محظورة وممنوعة.

9- التوجه إلى الأمور العقائدية والدنيوية أمر فطري، جعله الله تعالى في نفوس الناس قال تعالى: ﴿...حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ﴾.

نقرأ في بعض الروايات: إذا أحب العبدُ رَبَّهُ سبحانه وتعالى وأحب الأولياء والصلحاء والمؤمنين، فهو من لُطفِ الله تعالى عليه.

10- رَبَّنا سبحانه وتعالى حَبَّبَ للإنسان الإيمان، ولكن لم

120 آل عمران: 118.

يجبره عليه. قال تعالى: ﴿...**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ**...﴾.

11- الإيمان زينة القلب، ﴿**وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ كما الجبال والبحار، والمعادن والأشجار والعيون، وجميع الأمور الموجودة على الأرض، هي زينة للأرض، قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَها**..﴾، إذاً زينة الإنسان في التوجه نحو المعنويات، وزينة الأرض الأمور المادية الموجودة عليها.

12- التولي والتبري يجب أن يكونا إلى جانب بعض، فإذا أحب الإنسان الإيمان والصلاح يجب أن يبتعد ويتبرأ من الكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ**...**وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ**..﴾.

13- الكفر الباطني والنية السيئة تدفع بالإنسان إلى الفساد والطغيان، فلهذا نرى الآية ذكرت الكفر أولاً ثم الفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿**وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ**﴾.

14- الكفر لا يتلائم وفطرة الإنسان ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ**... **وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ**...﴾.

15- آفةُ الإيمان هو الكفر والفسوق والعصيان ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ**...**وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ**...﴾.

16- التنفرُ من المحرمات أمرٌ فطري في الإنسان.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ...﴾، وهذه الحالة تدفع الإنسان نحو الكمال والسعادة قال عز وجل: ﴿أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

17- الذين لا يكرهون الكفر والفسوق والعصيان، لا يملكون شيئاً من الرشد المعنوي ﴿كَرَّهَ...أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

18- لا تنحصر النعم بالأمور المادية فقط، إذ أنّ حب العقيدة والإيمان من النعم الإلهية الكبرى، والتنفر من الكفر والفسوق والعصيان أيضاً من نعم الله سبحانه وتعالى، ﴿حَبَّبَ...كَرَّهَ... فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً﴾.

19- تعلق القلب بالإيمان، أحد الألطاف الإلهية على الإنسان، ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمانَ...فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً﴾.

علاقة الإيمان بالعلم

لا يمكن خلط الإيمان بالعلم، إذ أن الإيمان أفضل وأوسع من العلم، الإيمان يرتبط مع الحب، كما أنَّ مقام العالم الرباني يختلف عن مقام الرئيس والملك والوزير، وإن دفع الحقوق الشرعية الإلهية كالخمس والزكاة يختلف عن دفع الضرائب الحكومية، يمتلك الإنسان المعرفة بالكثير من الأمور الحياتية والطبيعية، فمثلاً يعرف أعلى جبل في العالم ويعرف عمق المحيطات،

وهكذا له اطلاع ومعرفة بتاريخ الأمم والشعوب، بالإضافة إلى مئات وآلاف المسائل الحياتية الأخرى، ولكن ليست له علاقة قلبية وروحية بهذه المعلومات، ولكن إذا كانت لبعض معلوماته، صبغة إلهية واعتقاد وإيمان فتراه يعشق تلك المعلومات ويقدسها ويضعها في روحه وقلبه، لأنه يعرف بأن هذا العشق له قيمة كبرى، الإيمان والمحبة هو ما وضعه الله سبحانه وتعالى في قرارة الإنسان وفطرته، لذا فإن الكفار يحاربون ويواجهون فطرتهم بالصورة المعاكسة التي لا تريدها أنفسهم، حيث قال تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ...﴾، الإنسان المؤمن عندما يدفع الخمس والزكاة يشعر بالارتياح والسعادة، لأنه يعرف بان هذا ما أمر به الله سبحانه وتعالى فلذا لا يتألم من دفع ذلك، ولا ينفر من المرجع الديني الذي يقلده عندما يعطيه الخمس، بينما الأمر يختلف عند دفع الضرائب الحكومية، فإن الدافع لا يشعر بالراحة النفسية والسعادة، بل يشعر بالخسارة، وهو يكره الذي أخذ منه تلك الأموال.



الإصلاح بين المؤمنين

﴿وَإِنْ طائفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[121] الآية: (9).

* * *

من وحي الآية

* تطرقت السورة من بدايتها إلى هنا إلى عدة أمور وهي:

أ - عدم التقدم على الله ورسوله ﷺ ﴿لا تُقَدِّمُوا...﴾.

ب - امتلاك الأدب العالي عند التحدث مع النبي الأكرم ﷺ.

---

121 الحجرات: 9.

ج- التعامل مع الفاسق على أساس التحقق والعلم الكامل بما ينقل.

د- التعامل مع المتجاوز بصورة صارمة.

هـ- التعامل مع المؤمن بصورة يخالطها الحب والأخوة (الآيات القادمة).

* نقرأ في الحديث الشريف: "**أنصر أخاك ظالماً أو مظلوما**"[122] فإذا كان مظلوماً يُنصَر لأجل أخذ الحق له، وإذا كان ظالماً نردعه بالحكمة والموعظة الحسنة ونهديه إلى الطريق الصحيح.

* يجب أن يتسلح المسلمون اليوم بأنواع الإمكانيات اللازمة سواء كانت عسكرية أو اقتصادية أو إدارية أو تعبدية أو تعليمية، لمواجهة القوى الباغية والظالمة في العالم، القرآن الكريم عندما يأمرنا بمواجهة الظالم، وإيقافه عن ظلمه وجوره، يطالبنا بامتلاك القوة الكافية لذلك، حيث إن القوى الظالمة اليوم تمتلك الإمكانيات المادية الهائلة في مختلف المجالات، وهكذا يجب أن يكون المسلمون اليوم، فكما أن إيقاف المتجاوز والمعتدي واجب فكذلك تشكيل الحكومة الإسلامية التي هي مقدمة لذلك الواجب واجبةٌ أيضاً.

---

122 راجع وسائل الشيعة: ج12، ص212.

دروسٌ من الآية

يمكن أن نستلهم من الآية المباركة عشرات الدروس، وقد أشرنا إلى بعضها في النقطة السابقة، فَمِن هذه الدروس:

1- الإيمان يدعو إلى مواجهة الكفار والأعداء، وأنَّ العِداءَ والنزاع الذي يحدث بين المؤمنين هو موقت وكجرس إنذارٍ للمؤمنين الآخرين، وكلمة ﴿اقتَتَلوا﴾ تدل على حصول نزاعٍ طارئ، ولا تدل على حصول نزاع دائمٍ إذ لم تقل الآية: ﴿يقتتلون﴾.

2- الآية المباركة تُشير إلى مسألة أدبية عالية: إنها تعلمنا إذا أردنا أن ننهى إنساناً ما عن منكر، فلابدَّ أن لا نوجه النهي إليه بصورة مباشرة، بل نجعل الخطاب عاماً أو موجهاً إلى جهة بعيدة، فالآية المباركة لم تقل: وإن طائفتان منكم...، بل قالت: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ وهم غيركم.

3- طبيعة الحروب أنها لا تكتفي بِجَرِ جماعتين إليها، بل إنها تدعو الجميع إلى المشاركة فيها، الآية المباركة قالت: ﴿...اقْتَتَلُوا...﴾ ولم تقل اقتتلا.

4- عندما يشاهد المسلمون وقوع حرب بين المؤمنين الآخرين، لابد أن يكون لهم موقف سليم إزاء هذه الحرب،

وذلك بأن يصلحوا بين الأطراف المتنازعة، ولا يجوز لهم أن يقفوا متفرجين.

5- لابدّ من الإسراع في عملية إعادة الروابط الحسنة بين الأطراف المتنازعة، وأن نُقَدِّم هذا العمل على الأمور الأخرى، الحرف ﴿ف﴾ في كلمة ﴿فَأَصْلِحُوا﴾ تدعو إلى السرعة في العمل.

6- إذا بغت إحدى الطائفتين وطغت على قبول الصلح، يجب على الأمة الإسلامية أن تقاتلها حتى تعود إلى رشدها وعقلها، ﴿فَإِنْ بَغَتْ... فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي...﴾.

7- لا قيمة لدم الباغي، فلابُدَّ من مقاتلته حتى يعود الأمن والعدل إلى ربوع البلاد الإسلامية، ﴿فَإِنْ بَغَتْ... فَقَاتِلُوا...﴾.

8- لابُدَّ من مواجهة البغاة والظلمة بالمثل، ولا يجوز التراخي معهم وإعطاءهم الفرصة.

9- عند مواجهة المتجاوز، لا يجوز التسامح معه والغض عن مكره وجرمه، بل لابد من الإسراع في القضاء عليه، حرف ﴿فاء﴾ تدل على الإسراع. ﴿فَقَاتِلُوا﴾.

10- لا يجوز التعرض إلى عائلة الباغي بسوء، المرأة والطفل أبرياء، لابد من قتال الباغي دون غيره ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي...﴾.

11- يجب أن لا تتدخل العواطف عند القضاء على المعتدي والظالم، سواء كان قريباً أو غريباً، لابد من الوقوف أمام بغيه ﴿فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي...﴾.

12- لا يقوم المؤمنون بأمر إلا إذا كان مقدساً ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ﴾.

13- لا يتوقف المسلمون في قتالهم للباطل حتى يصلوا إلى هدفهم، وان استغرق ذلك مدة زمنية طويلة، كالمريض فإنه يراجع الطبيب حتى تعود السلامة إلى بدنه بشكل كامل، قال تعالى: ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ...﴾.

14- لا تحول الأمور الشخصية والقومية، والحزبية والعشائرية في القضاء على الباغي، فإن الهدف الأساسي من مقاتلته هو إرجاعه إلى الحق والصواب ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ﴾.

15- عندما يُقرر الباغي التوقف عن بغيه والرجوع إلى طريق الله سبحانه وتعالى، لابد من الكفِ عن مقاتلته، إذ أن الشرط الأساسي هو الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وإن كان في مراحله الأولى، حيث إن رجوعه بشكل كامل إلى الله عز وجل ليس شرطاً في عدم محاربته ﴿..حَتَّى تَفِيءَ...﴾.

16- عند وقوع الفتنة بين المسلمين، ولم يعرف فيها

المتجاوز والباغي، فيجب السعي لإطفاء الفتنة، وإشاعة الصلح بين المتخاصمين، وعندما يعرف المتجاوز، فلابد من السعي لأخذ الحق منه للمظلوم، قال تعالى: ﴿...**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ...**﴾.

17- تختلف واجبات المؤمنين مع اختلاف الأمور الاجتماعية، فتارة يكون الصلح هو السائد، وتارةً الحرب، في هذه الآية جاءت كلمة ﴿أصلحوا﴾ مرتين وكلمة ﴿**قاتلوا**﴾ مرتين أيضاً.

18- عندما يتم الإصلاح بين الجماعتين المتحاربتين، فلابُدَّ أن تُؤخذ خسائر الحرب من الجماعة المعتدية أو الباغية، قال(عز وجل): ﴿...**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام(مضمون الحديث): "**لا خير في أمةٍ لا تأخذ حَقَّ ضعيفها من القوي**"[123].

19- عندما تكثر أمواج العواطف والأهواء والشهوات، يجب أن تكثر أيضاً الوصايا الأخلاقية ﴿**بِالْعَدْلِ... أَقْسِطُوا.. يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾.

20- يكون للإصلاح قيمةٌ عندما يعطى الحق لصاحبه، وإلاّ

123 راجع الكافي: ج5، ص56.

فإن السكوت عن الحق هو الموت الأكبر ﴿أصلحوا··أقسطوا﴾.

21-كلما واجهتَ الأذى والمشاقّ في العمل الصالح والعادل كلما كنت محبوبا لله، أنظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

22- يحصل الإنسان على محبة الله سبحانه وتعالى عندما يحكم بين المتخاصمين على أساس العدل والقسط، وإلا فأن إسكات الطرفين من دون إعطاء الحق للمظلوم، لا يؤدي إلى الحصول على محبة الله سبحانه وتعالى: ﴿···إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

نافذة على التأريخ:

* قبل أن يبدأ القتال بين جيش أمير المؤمنين علي عليه السلام وبين الجيش الذي جاءت به عائشة، في تلك المعركة المسماة بمعركة الجمل، لما وصل الأمر إلى ساعة الصفر، وبدأت ملامح القتال تظهر ـ أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعظهم ويدعوهم إلى ترك قتاله، ولكنهم لم يسمعوا كلامه، ولم يقبلوا مواعظه، فأخذ الإمام عليه السلام يشكي أمره إلى الله عز وجل، ثم أخذ القرآن بيده، وتوجه إلى أصحابه وقال: من منكم يقرأ هذه الآية عليهم ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا···﴾، خرج شخص من الجيش، واسمه (مجاشعي)، جاء إلى الإمام عليه السلام وقال:

أنا يا أمير المؤمنين أقرأ الآية عليهم، فقال الإمام عليه السلام: ولكن يقطعون يدك اليمنى ثم اليسرى ثم يقتلوك، فقال: " **هذا قليلٌ في ذاتِ الله** "، أي ما أحلى الشهادة في سبيل الله، فأخذ القرآن وتوجه إلى جيش عائشة حتى وقف أمامهم، وأخذ يقرأ الآية ويدعوهم إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى لكي لا تهدر دماء المسلمين ولا يحدث قتال، ولكنهم قطعوا يده اليمنى، فأخذ القرآن بيده اليسرى، قطعوها أيضاً، أخذ القرآن بأسنانه، لم يتركوه حتى أردوه شهيداً، فبعد أن رأى الإمام عليه السلام مصرعه، أمر جيشه بالهجوم[124].

فلذا يجب أن يتقدم التبليغ والموعظة أولاً، لكي تتم الحجة على المعتدي والظالم، وعندما لا تنفع لغةُ المواعظ والنصائح الإلهية، فلابد من استخدام لغة أخرى وهي لغة السيف والقوة، والقتال حتى اللحظات الأخيرة من الحياة، وذلك دفاعاً عن الحق والمبادئ والمقدسات.

العدالة في القرآن

بما أن الآية المباركة قد أشارت إلى العدالة ثلاث مرات بقوله **﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**،

124 راجع البحار: ج32، ص675.

لذا نشير إلى هذا الموضوع بنوع من البيان والتفصيل:

1- الخلقةُ مبينةٌ على أساس الحق والعدل، جاء في الحديث الشريف: "**بالعدل قامت السموات**"[125].

2- الهدف من بعثة الأنبياء بعث روح العدل في نفوس الناس، قال تعالى: ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[126].

3- جاء في الحديث: "**العدلُ حياة والجور ممات**"[127].

4- ساعة من العدل أفضل من سبعين سنة من العبادة[128].

5- دعاء الإمام العادل مستجاب[129].

6- لو انتشر العدل بين الناس، لفتحت السماء والأرض أبواب الخير والبركة على الإنسان، بإذن الله تعالى[130].

7- قال الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) (مضمون الحديث): لو انتشر العدل بين الناس، لما بقي فيهم فقير[131]. وقال: العدالةُ أحلى من العسل.

125 البحار: ج33، ص493.
126 الحديد: 25.
127 آثار الصادقين: ج12، ص435.
128 راجع جامع السعادات: ج2، ص223.
129 راجع وسائل الشيعة: ج7، ص108.
130 راجع الكافي: ج3، ص569.
131 راجع الكافي: ج1، ص541.

8- وقال الإمام الكاظم عليه السلام في تفسيره لقوله عز وجل: ﴿...يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾، بأن الله تعالى يرسل رجالاً لإقامة العدل، وأن الأرض تُحيى بالعدل[132].

9- وقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: (مضمون الحديث): العدالة تبعث الاطمئنان إلى القلوب[133].

يمكن للإنسان أن يتحمّل مع الفقر، ولكنه لا يتحمل التفرقة والظلم، بل يفقد توازنه معها.

الأنبياء والعدالة

كلمة العدالة تترادف دائماً مع احترام القانون، وعدم العدالة تترادف مع رفض القانون، إذا نظر الإنسان إلى القوانين التي بين يديه بنظرة استصغار وتحقير، فكيف يمكن له تطبيقها وتنفيذها في حياته اليومية، القانون الذي يصنعه الإنسان بيده لا يمكن الاعتماد عليه، وذلك للأمور التالية:

1- هي في حالة تغيير وتبدلٍ مستمر مع مرور الزمن.

2- لا تضمن حقوق الناس.

3- وضعها الإنسان الذي لا يملك الاطلاع الكامل بأمور

132 الكافي: ج7، ص274.

133 راجع: من لا يحضره الفقيه: ج3، ص567.

نفسه، وبأمور الآخرين، والذي يتأثر عقله بالغرائز والشهوات، والعواطف الموقتة، ويخضع للتهديد والطمع وحبُ الذات والعشيرة، وغير ذلك من الأهواء والرغبات.

4- تختلف قوانين البشر من منطقة إلى أخرى، ومن زمان إلى زمان، وكل من له قوة وسطوة يُغيّر فيها بما أحب، كما نرى هذا الأمر بشكل واضح في اجتماعات منظمة الأمم المتحدة.

5- لا تخلو من النواقص الكثيرة والعيوب والأمور السيئة، حتى أن واضعها لا يعمل بما وَضَعَ وقَرّر. فمثل هذه القوانين الباطلة هل يمكن أن تكون في موضع تكريم وتقديس من قبل الإنسان، وهل يمكن لها أن تجلب العزة والكرامة والصلاح للمجتمع، أوليس الابتعاد عن هذه القوانين هو الحق والصواب، والتمسك بها هو الظلم والضلال؟.

أما قوانين الأنبياء عليهم السلام فقد وضعها الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلحه وما يَضُرُه، وهي منبعثة من حكمته ولطفه، وإن الذي يحملها إلى الإنسان هو الشخص المعصوم وهو أول مُطبّق لها، ثم إن القانون الإلهي لم يتأثر بأي قوة مادية وغير مادية، فلذا فمثل هذا القانون هو الذي يكون في موضع تكريم وتقديس الإنسان، ويجد العمل به واجباً والتخلف عنه ظلمٌ وخلاف العدل.

الأصول العقائدية والفطرية للعدالة

يجد العدل حركته ومعناه الكامل في المجتمع عندما يُنظر إلى الكون نظرة إلهية، لأن الإنسان في هذه الحالة يرى الله سبحانه وتعالى عادلاً، وإنه لم يخلق الدنيا إلا بالحق، ولأجل خير الإنسان وسعادته، ثم إنه الأصل في خلقه الكون وهو سيد المخلوقات، وأنه الذي خلق من تراب، وسوف يعود إلى ربه بعد رحيله من هذه الدنيا، وسوف يقف في محكمة العدل الإلهية يوم القيامة ليجازى على جميع أعماله فمن خلال النظر إلى المبادئ الإلهية، نجد أن الأنبياء عليهم السلام إنما جاءوا وبعثوا لتطبيق العدالة بين الناس، ثم إن الهدف السامي والكبير من وراء ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام هو إقامة العدل، كما جاء في الحديث الشريف: "... **يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً**"، وإن المؤمن ينظر إلى العلماء الربانيين والقادة الصالحين بأنهم امتداد للأنبياء والمرسلين عليهم السلام وإنهم يحملون لواء العدل والصلاح لجميع بقاع الأرض، فهذه العقائد إذا توفرت في الإنسان، فإنها سوف تكون أكبر دفاع وحافز له نحو الخير والصلاح والعدل في حياته، أما الإنسان الذي ينظر إلى الكون ولا يؤمن بأن هناك من خلقه، وإن الكون خلق للعبث، وليس هناك دستور صالح في هذه الدنيا، وليست هناك حياة بعد هذه

الحياة، وهكذا بالنسبة لبقية الأمور لا يرى لها من هدف· ومن خلال هذه النظرة القشرية، لا يمكن أن يرى هذا الإنسان شيئاً من فكرة العدل في نفسه، بل يجد كل شيء جور وفساد، نعم يمكن لهذا الإنسان أن يكون مستقيماً في عمله وسلوكه، وذلك لوجود الضغوط الاجتماعية الضاغطة، أو وجود القوانين الوضعية التي ترعب وتهدد بالقتل فيما لو سرق مالاً قليلاً مثلاً، أو لأجل كسب الجاه والمكانة والمحبة لدى الآخرين، هذه الأمور تدفعه إلى عدم ارتكاب الجرائم والأخطاء، وأن يحمل صبغة العدالة وحب الآخرين في نفسه، فهذا الشخص الذي ينظر إلى الكون والحياة نظرة مادية، ولم يؤمن بوجود هدف سامي من وراء الخلقة، فإنه لا يؤمن بالعدالة أبداً·

أبعاد العدالة:

العدالة أحد المحاور الأصلية للإسلام، حيث إنها احتلت المرتبة الثانية في تبيين صفات الله عز وجل بعد التوحيد، ثم إن العدالة شرط أساسي في مرجعية العالم الديني، وكذا في إمام الجمعة والجماعة، والقاضي والشاهد والمسؤول على بيت المال، فإذا وسّعنا نظرنا نجد أن العدالة تلعب دوراً كبيراً في جميع البرامج الإسلامية، ونجد التحذير والتحريم لحالتي الإفراط

والتفريط في الواجبات الإسلامية، فمن الأمور التي يؤكد عليها الإسلام في أمر العدالة هي:

1- الاعتدال في العبادة، جاءت روايات كثيرة في الكتب الفقهية، تحت عنوان (باب الاقتصاد في العبادة).

2- الاعتدال في العمل والراحة.

3- الاعتدال في الحب والبغض، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "**أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**".

4- الاعتدال في الارتباط القلبي بالناس.

5- العدالة في الإنتاج والصرف.

6- الاعتدال في التشجيع والتوبيخ.

7- العدالة في تقسيم أموال الدولة، وهكذا في الوصية في الأموال الشخصية.

8- العدالة بين الزوجات والأولاد، والأصدقاء والعمال وغيرهم.

9- العدالة في القضاء حتى في النظرة بين المتخاصمين.

10- العدالة في القصاص.

11- العدالة في القتال.

12- العدالة في معاملة الحيوانات، حتى أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام يوصي جابي الزكاة بما مضمونه إذا ذهبت إلى مكان وأعطوك أربعة جمال بعنوان الزكاة، فلا تركب على واحدة فقط فتتعبها، بل عليك أن تراعي العدالة بينها، بأن تركب كل جمل مقدار من الزمان بشكل عادل، فإذا كان طريقك ساعتين مثلاً تركب على كُلِ جَملٍ نصف ساعة فقط.

ومن جانب آخر نقرأ في الفقه: إذا ركب أحد الحجاج حيواناً، ثم أخذ يسير الحيوان بسرعة لكي يصل إلى مكة في أسرع وقت ممكن، بحيث أتعب حيوانه أكثر من الحالة الطبيعية، فإنه يكون مديوناً من الناحية الحقوقية، بسبب ظلمه للحيوان.

13- مراعاة حق الأطفال: إذا جلس طفل في وسط المسجد، وحان وقت صلاة الجماعة، فلا يجوز لشخصٍ أن يرفعَ الطفلَ من مكانه ليصلي في المكان، وإذا فعل ذلك فإن صلاته فيها إشكال.

صور من العدالة الإسلامية:

1- خاطب القرآن الكريم بعض الناس من أهل الحجاز، الذين كانوا يتصورون بأنهم أفضل من غيرهم، وكانوا يسيرون بصورة منفصلة عن الآخرين في أداء مناسك الحج، أن اجعَلوا طريقكم مع طريق الناس في أداء المناسك، قال تعالى: ﴿**أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾[134].

2- على مر التاريخ كان الأغنياء يطلبون من أنبيائهم، طرد المؤمنين الفقراء، فكان يأتيهم النداء الإلهي: ﴿**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ**﴾[135].

3- جمع النبي صلى الله عليه وآله في سفره الأخير المسلمين وقال لهم: الناس جميعاً سواسية من أي قوم أو قبيلة كانوا[136] "**لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى**"، وهذا ما قاله الله سبحانه وتعالى في كتابه بقوله: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾.

4- طلب بعض الأشخاص النفعيين من أمير المؤمنين عليه السلام أن لا يجعل سَهمَهُم مع سهم الفقراء بل يجعل لهم أكثر من سهم غيرهم، لأنهم يمتلكون الشخصية الاجتماعية بين الآخرين، ولكي

134 2: 199.

135 هود: 30.

136 سفينة البحار: ج2/ص 348.

لا ينقلبوا ضده ولا يلتحقوا بمعاوية، فقال لهم ا لإمام عليه السلام هل تريدون أن أعطيكم ما ليس بحق، من أراد البقاء معي فليبقَ، ومن أراد الذهاب فليذهب[137]، وقال الإمام عليه السلام في بداية تسلمه أمر الخلافة ما معناه: سوف أرجع جميع الأموال التي وزعت من بيت المال في الزمان السابق، بصورة غير عادلة، حتى لو أعطيت مهراً لأزواجهم أو شروا بها عبيداً[138].

5- كان الإمام علي عليه السلام يقول: لو كانت الأموال لي لقسمتها بين المسلمين بالعدل، فكيف وهي عائدة لبيت مال المسلمين[139].

6- وقال النبي صلى الله عليه وآله (مضمون الحديث): "**أول من يدخل نار جهنم، الحاكم الذي لا يحكم بالعدل**" ميزان الحكمة.

7- ونقرأ في حديث آخر: "**من كان معيلاً لعشرة أشخاص ولم يعدل بينهم، فسوف يحشر يوم القيامة مغلول اليدين والرجلين**" ميزان الحكمة.

هذه بعض الدروس والعبر التي توضحت لي من خلال نظري لهذه الآية المباركة، وهناك دروس أخرى كثيرة يمكن للمتمعن

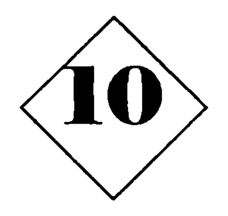
---

137 راجع وسائل الشيعة: ج15/ص 107.

138 راجع نهج البلاغة: خطبة 15.

139 نهج البلاغة: خطبة 126.

أن يكتشفها لو فتح قلبه وروحه لمفردات هذه الآيات التي هي المنهاج السليم والكبير للبشرية إلى يوم القيامة.



الأخوة في الإسلام

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[140] الآية: (10).

❊ ❊ ❊

من وحي الآية:

الآية المباركة تبين الرابطة والعلاقة الروحية الموجودة بين المؤمنين، وتعبر عن هذه العلاقة بأنهم إخواناً، وفي هذا التعبير نقاط جميلة نشير إلى بعضها:

أ- يكون الإخوان في مقابل الشخص الأجنبي، كالساعدين يشد أحدهما الآخر.

ب- المحبة بين الأخوين تكون عميقة لا تحركها العواصف والرياح.

---

140 الحجرات: 10.

جـ – يستخدم المسلمون المفردات والكلمات التي تعبر عن علاقتهم فيما بينهم، كالصديق والرفيق وابن بلدتي، وابن الوطن، وغير ذلك، ولكن القرآن انتخب كلمة الأخ وهي أعمق من جميع المفردات الأخرى.

د – تكون المحبة بين الأخوين متبادلة.

هـ – جاء في الحديث: أن الأخوين المؤمنين، كاليدين للجسد الواحد، أحدهما يغسل الآخر. (المحجة البيضاء).

ح – في هذه الآية والآية السابقة، تكررت كلمة ﴿**أصلحوا**﴾ ثلاث مرات، مما يدل على اهتمام الإسلام بأمر الصلح بين المسلمين.

ر – بما أن القتال بين المسلمين يترك عوارضاً سيئة بينهم مثل سوء الظن، والهجران، وحب الانتقام، والبغض وغير ذلك من المساوئ، لذا نرى القرآن الكريم في هاتين الآيتين يؤكد على هذه العبارات ﴿**اصلحوا، اقسطوا، يحب المقسطين، إخوة، أخويكم، اتقوا، ترحمون**﴾... ذلك لكي تكون البلسم والدواء لتلك الجروح التي نشأت من القتال بين الطرفين.

دروس من الآية:

1- لا تتمكن الأمور الاقتصادية والسياسية والجغرافية، والعرقية والتاريخية، وغير ذلك من أن تخلق روح الأخوة بين الناس، ولكن الإيمانُ هو الوحيد الذي يخلق حالة الحب، والأخوة بين الناس، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾.

2- الأخوة الإيمانية لا تحتاج إلى زمان ومكان معينين، ولا يتدخل العمر والمكانة، وغير ذلك فيها. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾.

3- تحصل الأخوة الإيمانية عندما يرى الإنسان نفسه متساوياً مع الآخرين، ولا يرى أنه أفضل من غيره، ولكن بما أن هناك أفضلية بين الوالد وولده، فهنا لا تحصل أخوة، بينما تحصل في المجالات الأخرى.

4- لكي يتحقق الصلح والوفاق بين الناس، لا بد من استخدام الكلمات التي تبعث المحبة والرأفة في قلوبهم ﴿**إخوة فأصلحوا...**﴾.

5- الإصلاح بين الآخرين واجب على جميع المسلمين، وليس على فئة معينة واحدة. ﴿**فأصلحوا...**﴾.

6- المصلح هو أيضاً أخ للطرفين المتخاصمين ﴿... **بين أخويكم**﴾.

7- يجب على المصلح مراقبة المساوئ والآفات التي قد تأتيه مع عملية الإصلاح بين الآخرين، قال تعالى: ﴿**فأصلحوا… واتقوا**﴾.

فمن جملة المساوئ التي قد يجدها المصلح، هو حب الظهور، طلب العوض والهدية، الانحياز إلى جهة من الجهات، الامتنان على الآخرين وغير ذلك…

8- المجتمع المتخاصم فيما بينه بعيد عن رحمة الله سبحانه وتعالى: ﴿**فأصلحوا… واتقوا… ترحمون**﴾.

9- الصلح والصفاء والمحبة مقدمات كبرى توجب نزول الرحمة الإلهية، ﴿**فأصلحوا… ترحمون**﴾.

الأخوة في الإسلام:

* أحد الامتيازات التي يمتاز بها ديننا العظيم أنه يعالج الأمور من جذورها، فمثلاً يقول القرآن الكريم: ﴿**إن العزة لله جميعاً**﴾[141]، ثم بعدها يوعظ المسلمين، فلا بد أن لا تطلبوها من غيره، لا يجوز أن تذهبوا إلى هذا أو إلى ذلك لكي تحصلوا على العزة، العزة كلها لله تعالى فأنتم ارتبطوا به حق الارتباط لكي تكونوا أعزاء، ويقول القرآن أيضاً: ﴿**إن القوة لله جميعاً**﴾ فأين تذهبون، لماذا

141 يونس: 15.

لا تطلبون القوة من مصدرها، وإنما تذهبون إلى الضعفاء لأجل الاحتماء، هذه الآية تقول: ﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾.

* فإذا كنتم أخوة وأنتم على مذهب وعقيدة واحدة، فلماذا الخصام والتشتت، لماذا لا تكونوا أحباء، من هناا إذا أردنا إصلاح الانحراف الذي قد يظهر في المجتمع فلا بد من إصلاح الخط الفكري والعقائدي لهم.

* دعا الإسلام المسلمين إلى التحابب والأخوة في مختلف شؤون الحياة، ففي أحد الأيام كان النبي صلى الله عليه وآله ومعه 740 شخصاً من المسلمين في منطقة النخيلة، فنزل عليه جبرائيل عليه السلام وقال: لقد عقد رب العزة تبارك وتعالى عقد الأخوة بين الملائكة فأنت يا رسول الله، اجعل بين أصحابك عقد الأخوة الإيمانية. فكل شخص يؤاخي الشخص الآخر الذي كان يميل إليه ويحبه، فتآخى أبو بكر مع عمر، عثمان مع عبد الرحمن، سلمان مع أبي ذر، طلحة مع الزبير، مصعب مع أيوب الأنصاري، حمزة مع زيد بن حارثة، أبو الدرداء مع بلال، جعفر الطيار، مع معاذ بن جبل، المقداد مع عمار، عايشة مع حفصة، أم سلمة مع صفية، النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين علي عليه السلام[142].

* في معركة أحد، أمر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين أن يجعلوا

142 البحار: ج 38 ص 335.

الشهيدين عبد الله بن عمر وعمر بن الجموح في قبر واحد، حيث كانت بينهما أخوة دينية:

* الأخوة الظاهرية المبنية على المصالح والأهواء، تتلاشى مع مرور الزمن، قال تعالى: ﴿**فلا أنساب بينهم**﴾، ولكن الأخوة الإيمانية والدينية هي التي تبقى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**إخواناً على سرر متقابلين**﴾[143].

* الأخوة موجودة بين النساء المؤمنات أيضاً، حيث عبر القرآن عن هذا الأمر بقوله: ﴿**إن كانوا إخوة رجالاً ونساءً**﴾[144].

* الأخوة الإيمانية لا بد أن تكون لله تبارك وتعالى، إذا تآخى شخص مع آخر لأجل طمع دنيوي فإنه سوف لا يصل إلى مقصده، وهذه الأخوة سوف تتبدل يوم القيامة إلى عداوة، قال تعالى: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾[145].

* حفظ الأخوة الإيمانية أهم من الأخوة الإيمانية، الروايات الشريفة انتقدت بشدة أولئك الذين يتركون إخوتهم الإيمانية، وتؤكد بأن أخاك المؤمن إذا انقطع عنك وتركك، فلا تنقطع عنه، جاء في الحديث الشريف: "... **صل من قطعك**"[146].

143 الحجر: 47.

144 النساء: 176.

145 الزخرف: 67.

146 البحار: ج78، ص71.

* وتقول الروايات، كن مع أخيك المؤمن الذي تآخيت معه منذ زمن بعيد، أحب ممن تآخيت معه حديثاً، وإذا رأيت منه زلة فتحمّلها منه، وإذا أردت أن تتآخى وتعاشر شخصاً خالياً من العيوب فسوف تبقى بلا صديق[147].

وجاء في بعض الروايات: (مضمون الحديث) إن الله تعالى أعد للذين يقضون حوائج إخوانهم المؤمنين، والذين يحلون مشاكلهم أجراً عظيماً، ومن قضى حاجة أخيه قضى الله له مئة ألف حاجة[148].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: المؤمن أخو المؤمن، كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد وتألم.

حقوق الإخوان:

ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً، لا بد له من أدائها منها:

1 - أن يعفو عنه.

2 - يكتم سره.

3 - يستر زلته.

---

147 راجع ميزان الحكمة.

148 راجع ميزان الحكمة (الأخوة).

4- أن يقبل عذره.

5- أن يدافع عنه.

6- أن يحب له الخير والصلاح.

7- أن يفي بوعده.

8- يعوده إذا مرض.

9- يشيع جنازته.

10- يقبل دعوته وهديته.

11- أن يرد هديته بالأفضل.

12- أن يشكر سعيه له.

13- السعي في إيصال الخير له.

14- يحفظ عرضه.

15- أن يقضي حاجته.

16- أن يحل مشاكله.

17- أن يبحث عن ضالته.

18- أن يدعو له عند عطاسه.

19- أن يجيب سلامه.

20- أن يحترم كلامه.

21- أن يختار له أفضل هدية.

22- أن يقبل قَسَمَهُ.

23- أن يحب صديقه ولا يعاديه.

24- لا يتركه عند المصائب.

25- أن يحب له ما يحب لنفسه...[149].

جاء في حديث، لما قرأ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هذه الآية ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ قال:: (مضمون الحديث) دماء المسلمين كلها محترمة، إذا أعطى مسلم لمسلم الأمان واللجوء، يجب على سائر المسلمين أن يحفظوا هذا الأمان والعهد، وأن المسلمين يجب أن يكونوا يداً واحدةً على عدوهم، "**وهم يد على من سواهم**"[150].

وقال الإمام علي عليه السلام لكميل: "**إذا لم تحب أخاك، فهو ليس بأخيك**": (مضمون الحديث)[151].

يستطيع الإنسان بفعل إيمانه وصدقه أن يجعل نفسه في مدار أولياء الله تعالى، قال صلى الله عليه وآله: "**سلمان منا أهل البيت**"، كما يخرج

149 راجع البحار: ج74/ ص236.

150 تفسير القمي: ج1/ص73.

151 راجع تحف العقول ص171.

الإنسان بسبب كفره من مدار الخير والصلاح، قال تعالى مخاطباً نبيه نوحاً عن ولده الذي عصاه، ولم يركب السفينة معه: ﴿...إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...﴾[152].

أفضل الأخوان:

علامات الأخ المؤمن الصالح كما تذكرها الروايات عن المعصومين عليهم السلام أفضل الأخوان من كان مخلصاً وطالباً للخير لك، ويكون شديداً في دعوته لك إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، ويكون لك عوناً في الشدائد، وأن يكون حبه لك لوجه الله عز وجل، والذي يزيدك في العلم مَنطِقُهُ، ويقربك إلى الله عمله، وأن يغض طرفه عن أخطاءك وعيوبك، وأن يحفظك من الوقوع في شراك الأهواء والرغبات الشيطانية، وإن رأى منك عيباً ذَكَّرك، وأن يكون مواظباً على الصلوات الخمس، وأن يكون من أهل الحياء والأمانة والصدق، وأن لا يأنسك في الضيق والرخاء[153].

الصلح في القرآن:

قرأنا في هذه الآية، بأن المؤمنين أخوة فأصلحوا بينهم، بهذه المناسبة نُشير إلى النقاط الموجودة في الصلح والوفاق بين

152 هود: 46.

المؤمنين. ذكر القرآن الكريم عدة مصطلحات في هذا المجال، فمرة قال تعالى: ﴿...وَالصُّلْحُ خَيْرٌ...﴾، وقال: ﴿...وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ...﴾، وقال في سورة آل عمران: ﴿...فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ...﴾3: 103.

وقال عز وجل: ﴿...إن يُرِيدَآ إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَآ...﴾[154]، قال تعالى: ﴿...ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً...﴾ 2 :208.

من هذه الآيات نفهم بأن ديننا العظيم يؤكد على السلم والصلح، والحياة الطيبة البعيدة عن العنف والقتل والإرهاب، وإنَّ ما نشاهده من قتل ودمار وإرهاب في حياتنا هذه فهي من قبل الحكومات الظالمة التي لا تعرف الله سبحانه وتعالى ولا تعرف شيئاً من الإنسانية وحب الخير للآخرين.

أهمية الصلح في حياة الإنسان:

* من النعم الإلهية الكبرى التي يشير إليها القرآن الكريم، هي إيجاد الألفة في قلوب المسلمين قال عز وجل: ﴿...كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ...﴾، إذ كان المسلمون قبل مجيء الرسالة المحمدية السامية أعداء، يقتل بعضهم بعضاً، ولكن الله تبارك

153 ميزان الحكمة.

154 النساء: 35.

وتعالى ألقى في قلوبهم المحبة والإلفة فأصبحوا بنعمة الإسلام إخواناً، استمرت المعارك والحروب بين الأوس والخزرج 120 سنة، ولكن مع مجيء الإسلام توقفت هذه المعارك، وتبدلت الأضغان والأحقاد الجاهلية إلى الوفاق والمحبة في الله عز وجل.

* زكاة الجاه هو الإصلاح بين المتخاصمين، وهذا الإصلاح سبب في نزول الرحمة والمغفرة من الله سبحانه وتعالى قال عز وجل: ﴿...إِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[155]، وقال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[156].

* وضع الإسلام أحكاماً خاصة بين الناس، لأجل تحقيق ونشر الصلح والاستقرار في المجتمع منها:

1- أجاز الكذب الذي هو من الذنوب الكبيرة، لأجل الإصلاح بين الأطراف المتخاصمة.

جاء في الحديث الشريف: "**لا كذب على المصلح**"[157].

2- النجوى من الأمور المحرمة التي نهى عنها القرآن الكريم، لأنها تسبب حصول الوسوسة في قلوب المؤمنين، ولكن إذا

155 النساء: 129.

156 النساء: 85.

157 البحار: ج69/ ص242.

كانت في طريق الإصلاح بين الناس، فلا بأس بها، قال تعالى: **﴿لاّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾**[158].

3- إذا قَسَمَ المؤمنُ على أمر، فلا بد أن يعمل بقسمِهِ ويحرم تركه، ولكن إذا قسم شخص بأن لا يصلح بين زيد وعمر مثلاً، يجوز لهذا الشخص أن لا يعمل بقسمه ثم يصلح بين المتخاصمين.

قال تعالى: **﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[159].

ذكر المفسرون بأن هذه الآية نزلت في أحد المسلمين حيث أقسم أن لا يصلح بين ابنته وبين زوجها، فجاءت الآية المباركة، ونهته عن تصميمه هذا، ودعته إلى عدم ترك الإصلاح بين المتخاصمين. وأن لا يجعل القسم سبباً في ذلك.

4- يأمر الإسلام بتنفيذ العمل بالوصية بشكل كامل، ويحرم ترك الوصية، ولكن إذا كانت الوصية تسبب حصول نزاع وحقد بين الناس، فهنا يُجَوِّزُ الإسلام ترك العمل بها، لكي لا يقع نزاع

---

158 النساء: 114.

159 البقرة: 224.

في المجتمع، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ خَافَ مِن مّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ 2: 182.

5- يحرم القرآن الكريم سفك دماء المسلمين، ولكن إذا قام البعض بالاعتداء على الآخرين، فهنا يُجَوّزُ الإسلام مواجهة المعتدي ومقاتلته حتى يعود الأمن والصلح للآخرين. قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلُواْ الّتِي تَبْغِي...**﴾[160].

موانع الصلح:

ذكر القرآن الكريم مجموعة من الموانع التي تقف أمام الصلح والاستقرار في المجتمع منها:

1- الشيطان قال عز وجل: ﴿**ادْخُلُواْ فِي السّلْمِ كَآفّةً وَلاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ**﴾ 2: 208.

وقال تبارك وتعالى: ﴿**إِنّمَا يُرِيدُ الشّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ...**﴾[161].

2- حب المال والبخل، قال تعالى: ﴿**وَالصّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأنْفُسُ الشّحّ...**﴾[162].

---

160 الحجرات: 9.

161 المائدة: 91.

162 النساء: 128.

3- أحياناً يكون التكبر والغرور مانعاً لحصول الصلح بين المتخاصمين.

كيف نحصل على الرحمة الإلهية:

إذا نظرنا إلى موارد مجيء قوله تعالى: ﴿... **لعلكم ترحمون**﴾ نجد أنها جاءت في بعض الأمور المهمة التي تؤدي إلى سلامة المجتمع وصلاحه منها:

1- إطاعة الله ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[163].

2- إتباع القرآن، قال تعالى: ﴿**وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[164].

3- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿**أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[165].

4- إيجاد الصلح: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾.

---

163 آل عمران: 132.

164 الأنعام: 155.

165 النور: 56.

5- الاستغفار: ﴿...لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[166].

6- الإنصات إلى القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[167].

عوامل الحصول على الرحمة الإلهية في الروايات:

1- عيادة المؤمن المريض قال صلى الله عليه وآله: "**من عاد مؤمناً خاض الرحمة خوضاً**"[168].

2- مساعدة الضعفاء، قال صلى الله عليه وآله: "**ارحموا ضعفائكم واطلبوا الرحمة**"[169].

3- مساعدة صاحب العائلة: روايات كثيرة توصينا بمساعدة العوائل الفقيرة، لا سيما من كان صاحب بناتٍ عدةٍ.

4- الدعاء، الصلاة، الكلام الطيب، المصافحة، المعانقة مع المؤمنين من الأمور التي تنزل الرحمة على الإنسان.

5- قضاء حوائج الناس: جاء في الحديث الشريف: حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تردوها[170].

---

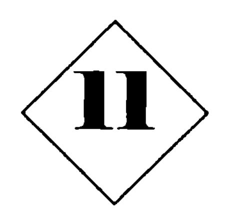
166 النمل: 46.

167 الأعراف: 204.

168 وسائل الشيعة: ج2، ص415.

169 مستدرك الوسائل: ج9، ص54.

170 راجع الكافي: ج2 ص206.



السخرية والاستهزاء

﴿يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مّن قَوْم عَسَىَ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مّن نّسَآءِ عَسَىَ أَن يَكُنّ خَيْراً مّنْهُنّ وَلاَ تَلْمِزُوَاْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالألْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإَيمَانِ وَمَن لّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾[171] الآية:(11).

* * *

من وحي الآية:

اللمز: هو الطعن بالآخرين في حضورهم، **الهمز** طعنهم في الغيبة، و**التنابز** هو مناداة الآخرين بلقب سيء.

* في الآية السابقة كان الحديث حول الأخوة الإيمانية، وهذه الآية تتحدث عن الأمور التي تضعف وتمحي هذه الأخوة،

---

171 الحجرات: 11.

والآيات السابقة تحدثت حول النزاع والإصلاح بين المسلمين، بينما هذه الآية تتحدث حول عوامل حصول الفتن والنزاع التي منها الاستهزاء أو التحقير والتنابز بالألقاب بين المسلمين، بلى أحد البركات والخيرات التي نجدها من خلال تطبيق الأوامر الإلهية، هي تطهير محيط المجتمع من الأمور الرديئة التي تحصل في الأجواء المنحطة، منها الاستهزاء بالآخرين وتحقيرهم.

دروسٌ من الآية:

1- لا يمكن جمع الإيمان مع الاستهزاء بالآخرين المؤمنين. ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ...**﴾.

2- لابد من عدم صَدِّ الذي يوقف الآخرين ويمنعهم من الاستهزاء بالناس الأبرياء. ﴿**لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ...**﴾ ولم يقل لا تسخروا.

3- السخرية مفتاح الفتن والحقد والعداوة. ﴿**لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ...**﴾ حيث جاء النهي عن الاستهزاء بعد ذكر آيات الأخوة الإيمانية وآيات الصلح.

4- من الأمور المهمة في التبليغ: إذا كانت المسألة مهمة، أو كان المخاطبون مختلفين في مستواهم العلمي، فلابد من تغيير وإعادة ذكر المسألة حتى تصل إلى فهم الجميع، قال عز وجل:

﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ...وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ﴾.

5- لأجل بَعثِ روح التربية والإيمان والصلاح في نفوس الناس، لابد من قلع جذور الفساد التي تظهر في أفكارهم وعقولهم. **﴿...عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً...﴾.**

الإحساس بالأفضلية هو الذي يدعو البعض إلى الاستهزاء بالآخرين، والتنقيص من كرامتهم، من هنا نجد القرآن الكريم يعالج هذا الجذر الفاسد الموجود في النفوس الضعيفة ويقول لهم لا تتصوروا بأنكم أفضل من غيركم، عسى أولئك يكونوا أفضل منكم.

6- لا يعلم الإنسان بما في باطن وقلب الآخرين، فلذا لابد أن لا يحكم عليهم بما تراه عيناه في الظاهر ويستحقرهم، فالنظر إلى الظواهر، دلالة على جهل الإنسان وصغر عقله. **﴿...عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً...﴾.**

7- منشأ جميع الناس واحدٌ، فالاستهزاء بالآخرين يرجع إلى ذات الشخص المستهزئ، قال تعالى: **﴿...وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾.**

8- إظهار عيوب الآخرين، يدعوهم للتخطيط إلى الانتقام، ومن ثم يسعون إلى إظهار عيوب الشخص المستهزئ، فالنتيجة إذا قام الإنسان بإظهار عيوب الناس، فإنه بهذا العمل يسعى إلى

إظهار عيوبه إلى الآخرين. ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾.

9- الاستهزاء والتحقير لا يبقى في جانب واحد، فإنه وإن طال الزمن أو قصر، يكون له جانبان. كما قال المثل من طرق باب الناس طرقوا بابه. فقوله ﴿...وَلا تَنابَزُوا...﴾ لها بعدان.

10- المستهزئ والمتنابز لابد له أن يتوب إلى الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[172]، والتوبة هنا لا تكون باللسان والقلب فقط، بل لابد أن تكون عملية أيضاً، بأن يذهب إليهم ويكرمهم، وأن يظهر حقهم وحسناتهم التي أخفاها، قال عز وجل: ﴿..تابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا...﴾ وتوبة الإنسان المفسد هو الإصلاح لما أفسد ﴿تابُوا وَأَصْلَحُوا﴾.

11- الاستهزاء هو التجاوز على حدود وكرامة الآخرين، وإن لم يتب فهو من الظالمين. قال عز وجل: ﴿فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

الاستهزاء والسخرية

يتصور الإنسان بداية الأمر بأن الاستهزاء ذنبٌ واحدٌ، ولكنه في الحقيقة يؤدي إلى ذنوب متعددة منها:

---

172 الحجرات: 11.

1 - الاستخفاف بالذنوب.

2 - إذلال الآخرين.

3 - كشف عيوبهم.

4 - زرع التفرقة.

5 - الغيبة.

6 - الحقد.

7 - إيجاد الفتنة والعداوة.

8 - حب الانتقام والطعن.

9 - بعث الألم والحزن في قلوب الآخرين، وغير ذلك.

أسباب الاستهزاء:

هناك أمور تدفع البعض إلى الاستهزاء واستحقار الآخرين منها:

1 - **الأموال:** يتصور بعض ضعفاء النفوس بأنّ من لا مال له لا قيمة له، ولهذا يستهزئ بالذي لا يملك الأموال، ويتصور بأنه أفضل منه، يقول القرآن الكريم: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ...**﴾[173].

173 الهمزة 1-2.

2- أحياناً تكون المعلومات، والشهادات الدراسية التي يمتلكها البعض، دافعاً لهم إلى الاستهزاء وتحقير الأخرين، قال تعالى: ﴿فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾[174].

3- الإحساس بالقوة الجسمية والمادية، يدفع البعض إلى الاستهزاء بالآخرين.

قال عز وجل: ﴿...مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾[175].

4- عدم الاستعداد لقبول الحق والإيمان يدفع البعض إلى الاستهزاء بالمؤمنين ووصفهم بما لا يليق بهم، فنرى الكفار يقولون لنبيهم: ﴿ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا...﴾.

5- التَفَكّهُ وحبُ محادَثةِ الآخرين أحياناً يكون سبباً في الاستهزاء.

6- حب المال والمقام يدفع البعض إلى الانتقاد من الآخرين والاستهزاء بهم، كان بعض المسلمين ينتقصون النبي الأكرم ﷺ في توزيعه للزكاة، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[176].

---

174 غافر: 83.

175 فصلت: 15.

176 التوبة: 58.

7- أحياناً يكون الجهل هو الدافع نحو الاستهزاء بالآخرين، فنَرى نبي الله موسى عليه السلام عندما أمر بني إسرائيل بذبح بقرةٍ ﴿...**قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ**﴾[177]. فالآية تشير إلى أن الاستهزاء سببه الجهل، وموسى عليه السلام يقول "**أنا لست من الجاهلين لكي استهزئ بكم**".

استهزاء عن غير عمد

سأل الصادق عليه السلام أحد أصحابه: كيف تعطي زكاة أموالك؟ فقال الرجل: الفقراء يأتون إليَّ وأنا أعطيهم ذلك، فقال الإمام عليه السلام: (مضمون الحديث) كُن على علمٍ لقد أذللتهم، إياك أن تكرر هذا العمل؟ لأن الله عز وجل يقول: من أذل ولياً من أوليائي، فقد رصد في محاربتي[178].

درجات الاستهزاء

كلما كانت الجهة التي يُستهزأ بها مقدسة وعظيمة، كلما كان الذنب أكبر وأخطر. يقول القرآن الكريم: ﴿**أَ بِاللهِ وَآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ**﴾[179].

177 البقرة: 67.

178 راجع المستدرك: ج9، ص105.

179 التوبة: 65.

* عفا النبي ﷺ يوم فتح مكة عن جميع المشركين، إلاّ الأشخاص الذين كان عملهم الهجو والاستهزاء.

* جاء في الحديث: إذلال المؤمن بمنزلة إعلان الحرب على الله سبحانه وتعالى[180].

عاقبة الاستهزاء

عندما ننظر إلى الآيات والروايات، نرى هناك عواقبَ وخيمة أعدّت لذين يستهزئون بالآخرين منها:

1- مواجَهَةُ التحقير والاستهزاء يوم القيامة ﴿**جَزاءً وفاقاً**﴾، كما كانوا يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا، قال تعالى: ﴿...**فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ**﴾[181].

2- أحياناً يجد المستهزئ جزاءه في هذه الدنيا قبل الآخرة: قال تعالى: ﴿**إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ**﴾[182].

3- سيتحّسر المستهزئون كثيراً يوم القيامة على ما كانوا يعملون: قال تعالى: ﴿**يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ**﴾[183].

---

180 وسائل الشيعة: ج12، ص 270.

181 المطففين: 34.

182 هود: 38.

183 يس: 30.

4- يموت المستهزئ أشد ميتة، جاء في الحديث الشريف: "...**مات بِشَرّ مِيتَة**"[184].

5- في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام (مضمون الحديث): الذي يطعن بالمؤمنين أو يرد كلامهم، فإنه قد رَدَّ الله تبارك وتعالى.

مواجهة الاستهزاء

* أحد الأعمال التي قام بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مع مجيء الإسلام العظيم، أنه غَيَّر أسماء بعض المسلمين، وهكذا أسماء بعض المناطق، التي كانت تثير سخرية الآخرين، وذلك لأن الأسماء القبيحة وسيلة تُهيج الآخرين نحو الضحك والتعليق.

* دَخَلَ عقيلُ بن أبي طالب عليهما السلام يوماً على معاوية بن أبي سفيان، فأراد معاوية الاستهزاء بعقيل عليه السلام، فقال لعقيل: أهلاً ومرحباً بِمَن عمه أبو لهب، وقد لعنه الله في القرآن، فقال له عقيل: أهلاً ومرحباً بِمَن عمته ﴿**حمّالة الحطب**﴾[185] وهي زوجة أبو لهب وعمة معاوية.

---

184 البحار: ج72، ص145.

185 راجع البحار: ج42، ص112، الغارات: ج2، ص380.



سوء الظن والتجسس والغيبة

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[186] الآية: (12).

* * *

من وحي الآية

* القرآن الكريم يوصي بحسن الظن، وفي نفس الوقت ينهى عن سوء الظن، قال تعالى في سورة النور: **﴿لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾**[187]، فلماذا لا تحسنون الظن بأن تحملوا الأمور على أحسنها.

---

186 الحجرات: 12.

187 النور: 12.

* كما أن الآية التاسعة من هذه السورة دَعَت إلى الأمن وحفظ أرواح المؤمنين ومواجهة المعتدي حتى يعود إلى أوامر الله سبحانه وتعالى، هذه الآية تطرقت إلى حفظ شخصية وكرامة الآخرين، والابتعاد عن سوء الظن والتجسس واغتياب الناس.

* يتحدث اليوم علماء الشرق والغرب عن حقوق الإنسان، ويدافعون عن مطالبه في الحياة في المحافل السياسية الدولية، ولكنهم غافلون عن آلاف الحقوق الأخرى التي أكد عليها الإسلام قبل 1425 سنة ولا يعلمون بالحقوق الإلهية الأخرى التي وضعها الله تعالى لعباده في الأرض.

* لم يُشبه القرآن الكريم ذنباً كتشبيهه للغيبة، حيث شَبّه الغيبة كالوحش الكاسر الذي ينهش لحوم الآخرين بدون أي رحمة، في حين يتجنب الذئب أن يفعل هذا الأمر بذئب آخرٍ، قال الشاعر:

ولا يأكل الذئبُ لَحمَ ذئبٍ ويأكُلُ بَعضُنا بَعضاً عيانا

* **سؤال:** لماذا تُمحى عبادةُ الإنسان لسنين كثيرةٍ مع كلمات قليلة يقولها في غيبة أخيه المؤمن؟ هل هذا الجزاء صحيح وعادل؟.

* **الجواب:** كما أن المُغتابَ يُذهِبُ بشخصية الإنسان الذي

يغتابه وبكرامته التي حصل عليها بعد سنين طويلة، في لحظات قصيرة، فكذلك ربُّ العزة تبارك وتعالى يُذهب ثواب وجزاء عباداته التي قام بها خلال سنين طويلة، في لحظات أيضاً ﴿جَزاءً وِفاقاً﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾.

دروسٌ من الآية

1 - الإيمان يحثّ الإنسان على الالتزام ببعض الأمور، وحضهم على الابتعاد بشكل كامل عن بعض الأمور، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا...﴾.

2 - لا يجتمع الإيمان مع سوء الظن والتجسس على الناس واغتيابهم.

3 - لأجل الابتعاد عن الذنوب الواضحة، لابد من الابتعاد عن الذنوب الاحتمالية أيضاً، فكما أن الكثير من الظنون حرام، فلذا يجب الابتعاد عن جميع الظنون، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾.

4 - قيمة الإنسان مع حفظ شخصيته وكرامته في المجتمع: ﴿...إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾.

5 - الإنسان في المجتمع الإسلامي يجب أن يُحفظ في

الخواطر والأذهان والعقول، بأن لا يقع في سوء ظن الآخرين، وأيضاً أن لا يكون في موضع تجسسهم، وأن تحفظ كرامته وشخصيته في المجالس والمحافل، قال تعالى: ﴿...**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**...﴾.

6- لأجل تجنيب الآخرين عن ارتكاب الغيبة، يجب سدّ المنافذ المؤدية إلى ذلك، أول هذه المنافذ الغيبة سوء الظن، ثم التجسس وتتبع العورات والعيوب، لذا الآية المباركة وضعت النهي بصورة متسلسلة أيضاً، حيث قال تعالى: ﴿...**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ**...**وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ**...﴾.

7- قد يجد المغتاب لحظاتٍ من الفرح والسرور الكاذب حسب الظاهر، وذلك بعد أن أسقط شخصية وكرامة الآخرين، ولكن حسب النظر العقلي والإلهي والإنساني قام بعملٍ خبيث، تتنفر منه الروح الطاهرة والنفس الإنسانية التي تريد الحياة للآخرين، قال تعالى: ﴿...**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**...﴾ عند النظر إلى الغيبة من الناحية الباطنية، نجد أنها كأكل لحم الميت، لم يعبّر القرآن الكريم عن أي ذنب من الذنوب بمثل هذا التعبير.

8- عندما تريد أن تنهى عن المنكر استخدم الجمل والعبارات العاطفية: ﴿**لا يَغْتَبْ**...**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ**﴾.

9- أحد أساليب التربية والتعليم، هو التمثيل وضرب المثال. **﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ...﴾**.

10- يجب أن يتعجب الإنسان عندما يسمع الآخرين يغتابون الناس، ويرى آخرين يسمعون ولا يعترضون على جرم الغيبة: **﴿...أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ...﴾**.

11- الغيبة حرامٌ سواء صدرت من صغير أو كبير أو عالم أو جاهل، فكلمة **﴿أحدكم﴾** تشمل الجميع سواء كان الشخص صغيراً أو كبيراً امرأة أو رجلاً وغير ذلك.

12- الناس بفعل الإيمان إخوة، ودمهم واحد. **﴿...لَحْمَ أَخِيهِ﴾**.

13- كرامةُ الإنسان وماء وجهه كلحم بدنه كلاهما يُشكلان قوامه وكيانه في المجتمع. **﴿...لَحْمَ أَخِيهِ...﴾**.

14- لا غيبة على الكافر، لأن الكافر ليس أخاً للمسلم. **﴿لَحْمَ أَخِيهِ﴾**.

15- فكما أنَّ الميت لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فكذلك الإنسان الغائب الذي يُغتاب، لا يستطيع الدفاع عن نفسه. **﴿...مَيْتاً...﴾**.

16- إذا انفصلت قطعة لحمٍ من جَسدِ إنسانٍ حيٍ، يمكن

لذلك المكان أن يُمتلأ في المستقبل، ولكن إذا قَطَعتَ لحماً من إنسان ميت، لا يمكن لذلك المكان أن يمتلأ ويعود إلى حالته الأولى، الغيبة كقَطعِ لحم الميت، حيث إذا ذهبت كرامة وشخصية الإنسان في المجتمع، وأُريق ماءُ وجهه، فلا يمكن لذلك الماء الذي أُريق أن يعود إلى حالته الأولى: ﴿...**لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتا**...﴾.

17- اغتياب الناس، كالهجوم عليهم وافتراسهم: ﴿...**يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**...﴾.

18- لا تجتمع الغيبة مع التقوى، أنّ الذي يخاف الله سبحانه وتعالى لا يذهب بكرامة وماء وجه الآخرين: ﴿**لا يَغْتَبْ**...**وَاتَّقُوا اللهَ**﴾.

19- لا يأس في الإسلام، يستطيع الإنسان بعد أن ارتكب أنواع الذنوب والمعاصي الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وذلك إذا طلب التوبة من الله سبحانه وتعالى: ﴿**لا يَغْتَبْ**...**إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾.

20- إذا قَبِلَ الله تعالى توبة العبد تَحِلُ عليه رَحمتُهُ أيضاً، إذ أن الرحمة لا تنفصل عن التوبة: ﴿**تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾.

أنواعُ سُوءِ الظن

هناك عدة أنواع لسوء الظن وقد نهى الإسلام عن بعضها، منها:

1- سوء الظن بالله سبحانه وتعالى، جاء في الحديث الشريف، من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظنَّ بالله، فالذي يفكر ما دام أنه وحيد فأن رزقه يأتي إليه، ولكن إذا تَزَوّج، فأن الرزق سوف يَقل أو ينقطع عنه، وإن الله غير قادر على إيصال الرزق له، فهذا الظن حرام، وقد نُهِيَ الإنسان عنه.

2- سوءُ الظن بالناس، وقد نهت هذه الآية عنه.

3- سوء الظن بالنفس، بأنها في كمال الخير والتوفيق والصحة في جميع الأمور الحياتية، نعم فالإنسان يجب أن لا يحسن الظن بنفسه في جميع الأمور، بأن يرى أعماله خالية من العيب والنقص، يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في بيانه لصفات المتقين(في خطبة همام): (مضمون الحديث): أحد صفات المتقين: أنهم لأنفسهم متهمون، الشخص الذي يرى نفسه خالية من العيب، فهو في الحقيقة ناقص العلم والإيمان، أو أن نور إيمانه قليل، لا يرى الأمور بوضوح، على سبيل المثال، لو حملت بيدك شمعة صغيرة ودخلت بيتاً كبيراً مظلماً، فأن لا ترى بواسطة هذا الضوء القليل إلا الأشياء الكبيرة، ولكنك إذا أشعلت

جميع المصابيح الكهربائية الموجودة في البيت، فأنك سوف ترى حتى عُودَ الكبريت الساقط على الأرض، الإنسان الذي نور إيمانه قليل، لا يرى الذنوب الكبيرة، ولهذا تراه يقول أحياناً أنا لم أقتل شخصاً، ولم أسرق مالَ الجيران، وغير ذلك من الذنوب الكبيرة، إذ يتصور الذنوب هي هذه فقط، ولكن اذا كان إيمان الإنسان كبيراً فأنه يرى جميع أخطاءه حتى ذنوبه الصغيرة، ولهذا سُرعان ما يتجه إلى رب العزة تبارك وتعالى باكياً متضرعاً إليه، أحد الأسباب التي دعت الأئمة المعصومين عليهم السلام أن تكثر ساعات مناجاتهم وتضرعهم وبكاءهم، هي شدة معرفتهم وإيمانهم بالله سبحانه وتعالى، ولكن مع ذلك كانوا يقولون: ما عرفناك حَقَّ معرفتك وما عبدناك حق عبادتك.

إذا نظر الإنسان إلى نفسه نظرة حسنة خالية من النقص والعيب في إيمانه وسلوكه، فإنه يبقى على تلك الحالة، بل ويثبت عليها، حيث يتصور بأنه في قمة الخير والكمال والعلم، ولكن إذا نظر إلى نفسه، بنظرة فيها العيب والنقص، فانه سوف يسعى في إصلاحها ودعوتها إلى الكمال أكثر فأكثر، الإنسان المعجب بنفسه كمثل الإنسان الذي يسير في طريقٍ طويل، ولكنه ينظر إلى خلفه دائماً، كم قطع من الطريق فيصيبه الغرور من ذلك، ولكن إذا نظر أمامه بدقة، يرى بأن عليه أن يسير الكثير حتى يصل إلى

مقصده، وانه لم يقطع من المسافة إلا القليل فقط.

* القرآن الكريم يأمر النبي بـ﴿..وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[188] ويقول ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[189] ويقول ﴿فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾[190]، والنبي صلى الله عليه وآله هو أشرف المخلوقات وسيد الكائنات فهل يصح بعد ذلك، أن يقول أحدنا أنا في قمة العلم والمعرفة والاطلاع ولا أحتاج إلى مشورة الآخرين، وأن رأيي هو الصواب بعينه، وإن مهمتي قد أديتها بالشكل المطلوب، وهكذا بالنسبة لبقية الأمور، إذاً فمن الخطأ أن يُحسن الإنسان الظَنَّ بنفسه، ولكن لابد أن نحسن ظننا بالناس، وهكذا بربنا سبحانه وتعالى.

* لابد من التوجه إلى أنه ليس المراد من حسن الظنِّ، هو أن يكون الإنسان بسيطاً في حياته، ينظر إلى الأمور نظرة سطحية، يصدق ما يسمع، ويغفل عن مخططات الشياطين والطغاة، الأمة الإسلامية يجب أن تكون يقظة ولا تنظر إلى جميع الأمور بنظرة سطحية، حيث يؤدي بها هذا الأمر أخيراً إلى الوقوع في شَرَكِ المجرمين والاستعمار.

---

188 طه: 114.

189 آل عمران: 153.

190 الانشراح: 7.

ما هي الغيبة

الغيبة هي أن تقول في غياب شخص شيئاً لا يعلمه الناس، وإذا سمع الشخص ذلك تألَّم وتأذى[191]، فعلى هذا الأساس إذا كان الكلام أمام الشخص، أو أن العيب يعلمه الآخرون، أو أن المغتاب لم يتألم عند سماعه للكلام عليه، هنا لا يعتبر غيبة، إن الغيبة حرام سواء كانت على الرجل أو المرأة أو الصغير أو الكبير، قريب أو بعيد، معلم أو تلميذ، أب أو ولد، حيٌّ أو ميت.

* قال النبي صلى الله عليه وآله: اذكروا موتاكم بخير[192].

الغيبة في الروايات

* عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "**إذا تاب المغتاب، فهو آخِرُ من يدخل الجنة، وإذا لم يَتب فهو أول من يؤخذ إلى النار**"[193].

* وعنه عليه السلام: الغيبة أن تقول في أخيك ما هو فيه ممّا قد ستره الله عليه، فأمّا إذا قلت ما ليس فيه، فذلك قول الله ﴿**فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾[194].

---

191 راجع وسائل الشيعة: ج8، ص600و 604.

192 نهج الفصاحة: حديث 264.

193 المستدرك: ج9، ص117.

194 البحار: ج72، ص258.

* وقال الإمام الصادق عليه السلام: **من كفَّ عن أعراض الناس قاله الله نفسه يوم القيامة، ومن كفّ غضبّه عن الناس كفَّ الله عنه عذاب يوم القيامة.**

* وقال النبي صلى الله عليه وآله: "**من اغتاب مسلماً أو مسلمةً لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلاّ أن يغفر له صاحبه**"[195].

* وقال صلى الله عليه وآله: من اغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يُؤجر على صيامه.

* وعن سعيد بن جبير: عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: "**يؤتى بأحد يوم القيامة، يوقف بين يدي الله، ويدفع إليه كتابه، فلا يرى حسناته فيقول: إلهي ليس هذا كتابي فإني لا أرى فيه طاعاتي، فيقال له: إنَّ ربَّكَ لا يَضِلُّ ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثُمَّ يُؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول: إلهي ما هذا كتابي فإنّي ما عملت هذه الطاعات، فيقال: لأن فلان اغتابكَ فَدُفَعت حسناته إليك**"[196].

* قال النبي صلى الله عليه وآله في آخر سفره إلى مكة المكرمة: (مضمون

---

195 البحار: ج72، ص258.
196 البحار: ج72، ص259.

الحديث): دماءكم وأموالكم وكرامتكم محترمة كما هذا الشهر (ذي الحجة) وأيام الحج[197].

* جاء ذكر المغتاب في الروايات إلى جانب مدمن الخمر: عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **تحرم الجَنةُ على ثلاثةٍ: على المنّان، وعلى المغتاب، وعلى مدمن الخمر.**

* قال البراء: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أسمع العواتق في بيوتهِنّ فقال: "**يا معشر من آمن بلسانه ولم يُؤمن بقليه لا تغتابوا المسلمين، ولا تَتّبعوا عوراتهم فإنّه من تتبّع عورة أخيه تتبّع الله عوراته ومن تتبّع عوراته، يفضحه في جوف بيته**"[198].

* وقال النبي صلى الله عليه وآله في آخر خطبة له في المدينة المنورة: "**من اغتاب مسلماً بطل صَومُهُ ونقض وضوءه...**"؛ أي يُحرم من البركات، والآثار المعنوية للصيام والوضوء[199].

* وقال صلى الله عليه وآله: **إنَّ الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستّ وثلاثينَ زينة يزينها الرجل، وإنَّ أربى الربا عرض الرجل المسلم.**

* وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **الجلوس في المسجد، انتظار**

197 شرح نهج البلاغة لبن أبي الحديد: ج9، ص62.

198 المحجة البيضاء: ج5، ص252.

199 المصدر السابق.

الصلاة عبادة ما لم يُحدِث، قيل: يا رسول الله وما يحدث؟ قال: الاغتياب"[200].

علاج الغيبة

* لأجل معالجة الغيبة التي ارتكبها الإنسان، إذا كان المُغتاب ميتاً، فيجب على الذي اغتابه أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى ويندم، والله سبحانه وتعالى يقبل توبة العبد دائماً.

وأما إذا كان المغتاب حياً، فإذا سمع ذلك وتألم، فعلى قول بعض العلماء لا يجب أن نخبره باغتيابنا له، بل لابد من التوبة إلى الله عز وجل، حيث إني سألت من المرحوم آية الله العظمى الكلبايكاني ﷺ هل من الواجب أن نقول للشخص المغتاب، إني اغتبتك لكي يعفو عنا؟ فقال: كلا لأنك إذا قلت له ذلك فسوف يتألم، وأذيتُ المسلم بنفسه هو نوع آخر من الذنوب، فلذا فأن علاج الغيبة هو الاستغفار وطلب العفو للمغتاب من الله تعالى كلما ذكرته.

وأما إذا كنت تستطيع الوصول إلى المغتاب بصورة من الصور، فلابد أن توصل الخير والتكريم له، لكي تجبر الخلل الذي ألصقته به في الناس، وإذا عرفت بأنه لا يتألم إذا أخبرته باغتيابك له، فأخبره واعتذر منه واطلب منه يُبري لك ذِمتك.

---

200 الكافي: ج2، ص357.

* ذكر الشيخ الطوسي حديثاً في كتابه (التجريد) عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله (مضمون الحديث): إذا سمع المغتاب أن البعض تكلموا عليه بالسوء، فإذا استطاع الذي اغتاب أن يذهب إلى المغتاب فيجب أن يذهب إليه ويعتذر منه بشكل كامل، وأما إذا لم يسمع المغتاب، فلابد على الذي اغتابه أن يستغفر له كلما ذكره.

جاء في الحديث الشريف: "**إنَّ كفارةَ الغيبةَ أن تستغفر لمن اغتبته كُلمّا ذكرته**"[201].

متى تجوز الغيبة؟

1- عند المشورة: إذا شاورك شخصٌ عن أحوال شخصٍ آخرٍ لأجل أمرٍ مهمٍ، فتستطيع أن تذكر حالات وصفات الشخص المشار إلى الذي استشارك.

2- عند الدفاع عن الحق والمبدأ الصالح: يستطيع المؤمن أن يدافع عن الشريعة الحقة، ولو أنه انتقص الآخرين، وذلك لكي لا ينخدع الناس بأباطيلهم وأفكارهم.

3- عند الشهادة ضد المذنب في مجلس القضاء، فلابد من ذكر الحقيقة بصورةٍ كاملةٍ، ورد الكلام الباطل.

---

201 وسائل الشيعة: ج8، ص605.

4- عند رَدِّ شهادة الشاهد الغير عادل.

5- لأجل إظهار مظلومية الإنسان، فلا مانع من ذكر أفعال الظالم وجرائمه.

6- لا غيبة على الذي لا حياء له، ويعمل المنكرات بصورة علنية.

7- تجوز الغيبة عند التقية، وعند الردِّ على الادعاءات الباطلة، كالذي يقول: أنا عالم، أنا دكتور، أنا سيد، بينما هو ليس كما يدعي فيمكن أن نُخبِرَ الناس بأن فلان يدعي ادعاءات باطلة، وذلك لكي ينتبهوا ويحذروا منه.

مخاطر الغيبة

* تظهر ذنوب كثيرة في المجتمع مع انتشار الغيبة بين الناس منها:

1- إشاعة الفحشاء، ونشر مساوئ الناس، والقرآن الكريم يُحذر من الرغبة في نشر الفاحشة في المجتمع، فكيف بالذي يسعى إلى ذلك، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[202].

---

202 النور: 19.

2- الاستخفاف بالمؤمنين وتحقيرهم.

3- إشاعة الأكاذيب.

4- اشتعال الحروب والفتن.

5- انتشار الظلم والذنوب الأخرى.

أنواع الغيبة

1- الغيبة تكون باللسان، وبالإشارة، وبالكتابة، وأحياناً يكون عَبرَ الصور، وعن طريق الرسم أو المجسمة، وتارة تكون عن طريق السكوت وتارة بالتقليد.

2- أحياناً يقول الإنسان: آه لو لم يكن الدين والإيمان أمام لساني، من هذه الكلمة يُفهِمُ الناس بأن فلان بن فلان له عيوب كثيرة، وإنَّ الدِّينَ هو الذي منعه من التكلم عليه.

3- أحياناً يقول الإنسان: الحمد لله الذي لم أُبتلى بهذا العيب، فَيُفهِمُ الآخرين بأن زيداً فيه هذا العيب والنقص.

4- أحياناً يعيب الإنسان نفسه، ويقصد بذلك إعابَةَ الآخرين، فيقول مثلاً: الإنسان ضعيف، نحن لا نملك الصبر، ويقصد به أن زيداً ضعيف ولا يملك الصبر.

5- أحياناً يقول الإنسان بعد سماعه للغيبة: سبحان الله، الله

أكبر، حيث بقوله هذا يُشجع المتكلم على المزيد من استغابة الآخرين.

6- أحياناً يقول الإنسان: لا تستغيبوا الآخرين، ولكنه في قلبه يحب أن يسمع الكلام الذي ينزل من كرامة الآخرين، وهذا نوع من النفاق.

مَساوِئ الغيبة

أ- الآثار الأخلاقية والاجتماعية:

1- ظهور الحقد والاختلاف والفتنة بين الناس، وذهاب الثقة بينهم، وابتعاد الأفراد الصالحين من الوسط المؤثر في المجتمع.

2- التجري على المعصية أكثر، حيث أن الشخص المذنب إذا افتُضح بين الناس، وأُريق ماء وجهه وكرامته، فسوف لا يبالي بارتكاب الذنوب بصورة أكثر وأوسع، لذهاب قيمته بين الآخرين.

3- انتشار عيوب الناس، وتلوث الجو العام للمجتمع، مما يدفع الآخرين إلى المعصية أيضاً.

4- ظهور حب الانتقام، حيث يفكر المغتاب أن ينتقم من الذي اغتابه، ويذهب كرامته بين الناس كما أذهب كرامته وماء وجهه.

فعلى كل الأحوال الذي يَمِسُ كرامة الناس وحقوقهم في الحياة بالسوء والأذى، فأن كرامته أيضاً سَتُمس وتخدش، جاء في الحديث "**لا تغتب فتغتب**"، "**من حَفَرَ بئراً لأخيه وقع فيه**"[203].

ب – الآثار الأخروية:

1 - ذهاب الحسنات[204].

2 - عدم قبول الطاعات.

3 - الخروج من دائرة الإيمان، والدخول في الدوائر الملتوية الأخرى[205].

دوافع الغيبة

1 - أحياناً يكون السبب من وراء الوقوع في الغيبة هو الغضب والانهيار العصبي، جاء في الحديث (مضمونه): اذكرني عند غضبك، أذكرك عند غضبي[206].

2 - حب المساواة مع الآخرين، حيث يرى البعض أنَّ بعض الشخصيات المعروفة تنتقد فلان بن فلان فلكي يكون بمستواهم

---

203 الكافي: ج2، ص358.

204 البحار: ج75، ص257.

205 الكافي: ج2، ص358.

206 المحجة البيضاء: ج5، ص365.

الاجتماعي، تراه يغتاب ذلك الإنسان أيضاً، لكي يرفع من قيمته وشخصيته مع أولئك السفلة، في حين نسى بأنه قد وقع في دائرة الغضب الإلهي، وأنه ارتكب ما هو أعظم من الزنا، لأجل كسب السمعة والمحبة بين التافهين، وانّ تفضيل رضا الناس على رضى الله من أكبر الخسائر التي يرتكبها الإنسان.

3- حب العلو والظهور: أحياناً يكون السبب في اغتياب الناس هو لأجل تعظيم النفسِ على الآخرين فتراهُ يسقط ويدمر كرامة الآخرين، لكي يُبرز نفسه، بأنه أفضل من جميع الناس، فهذا المسكين التافهِ يشتري غضب الله سبحانه وتعالى باغتياب الناس، على أمل بروز شخصيته وسمعته بين الناس.

4- أحياناً يكون الهدف من وراء الاغتياب، لأجل الضحك على الآخرين، ولكنَّ المغتاب بعمله هذا يحقر الآخرين دون أن يشعر، فلهذا يكون جزاءه يوم القيامة، أن يُحقَّر أمام جميع الخلق، ﴿جَزاءً وِفاقاً﴾.

5- أحياناً يغتاب الإنسانُ الآخرينَ بصورة التعجب، فيقول: أنا أتعجب من فلان العالم مع ما يمتلك من مقام علمي كبير، لكنه أصبح بهذه الصورة، ولكن لابدَّ أن يتعجب هذا الشخص من عمله هذا كيف أنه يُذهب جميع عباداته بعدة كلمات.

6- أحياناً يكون الحسد هو الدافع نحو الغيبة.

7- أحياناً يكون الدافع للغيبة هو التلهي والتحدث الأكثر، وقضاء الوقت بما يُرضي الشيطان.

8- أحياناً لأجل تبرئة النفس من العيوب، والنواقص، فيلقي المتكلم ذلك على الآخرين.

9- أحياناً يكون من باب الإخلاص مثلاً يقول المغتاب: قلبي يحترق لفلان بن فلان لقيامه بذلك العمل الفاسد.

وهناك عوامل أخرى تدفع الناس إلى الاغتياب، ذكرت في الكتب المفصلة.

سماعُ الغيبة

* وظيفة السامع عدم الإصغاء إلى الغيبة ثم الدفاع عن المؤمن المغتاب، جاء في الحديث الشريف: "**الساكتُ شريكُ القائل**"[207].

* عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: (مضمون الحديث): "**من سمع غِيَبةً ردها، أغلق الله تعالى عنه ألف باب من الشّر في الدنيا والآخرة، وإذا سكت وسمع يُكتب عليه ذنب المغتاب أيضاً**"[208].

207 غرر الحكم.

208 وسائل الشيعة: ج8، ص607.

وإذا استطاع الدفاع عن الذي اغتيب ولم يدافع عنه، أذَلَّهُ الله في الدنيا والآخرة[209]. لأن السكون عن نصرة المؤمن، يؤدي إلى ضياع الأشخاص الصالحين في المجتمع، وبروز الفاسقين والمجرمين بدلاً عنهم، ومما يؤسف له هذا ما هو حاصل بشكل كبيرٍ في مجتمعاتنا اليوم.

* وقال صلى الله عليه وآله: (مضمون الحديث): "**إذا أغتيب مؤمن في أحد المجالس، لابُد من رَدِّ المغتابين، والخروج من المجلس**"[210].

31- قال تعالى: ﴿لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾[211].

فعلى هذا الأساس لا يجوز لنا أن نستمع أي كلام كان، لا سيما إذا كان في الكلام ما يخدش كرامة وشخصية الآخرين.

* في رواية (مضمون الرواية): **الغيبة كفر والسامع الراضي به شريكان**[212].

كيف نترك الغيبة؟

1- أن نتوجه إلى المخاطر والآثار السيئة والتي ذُكرت قبلاً.

209 المصدر السابق: ص 606.
210 راجع كنز العمال: ج 2، ص 80.
211 الإسراء: 36.
212 البحار: ج 72، ص 226.

2- تذكر عيوب النفس: قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: "...**فكيف بالعَائبِ الذي عاب أخاه وعَيَّرهُ ببلواه، أما ذَكَرَ مَوضِعَ سَترِ الله عليه من ذُنُوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه! وكيف يَذُمّه بذنبٍ قد رَكِبَ مثله! فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سِوَاهُ، مما هو أعظم منه، وايمُ اللهِ لَئِن لم يكن عصاه في الكبير، وعصاهُ في الصغير، لَجَرأتُهُ على عَيبِ الناس أكبَرُ**"[213].

وقال عليه السلام: "**فَلْيَكْفف من عَلِمَ منكم عيب غيره لِما يَعلَمُ من عيب نفسه**..."[214].

وقال عليه السلام: "**من نظر إلى عيب نفسه اشتغل عن عيوب الآخرين**".

وجاء في الروايات: ما أسعد الإنسان أن يكون مشغولاً بعيوب نفسه، ويفكر في إصلاحها، ولا يلتفت إلى معايب الآخرين.

ختام البحث

في نهاية بحث الغيبة، نُشير إلى بعض النقاط اللازمة:

---

213 نهج البلاغة: خطبة 140.

214 المصدر السابق.

1- إن ذكر حرمة الغيبة، لم يأتي في هذه السورة فقط، بل هناك آيات أخرى جاءت في هذا الصدد، منها قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[215].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[216]، حيث يستفاد من الآية في حرمة الغيبة.

2- إذا أردت أن تغتاب لابد أن تمتلك هدفاً سامياً إلهياً من وراء ذلك، وإلا فأن عملك هذا يدخلك النار، فمثلاً يمكن للإنسان أن ينقل للطبيب، خصوصيات المريض بشكل مفصل ولو كان المريض غير راضٍ بهذا الكلام، لأن هذا النقل يؤدي أخيراً إلى شفاءه.

3- إذا كان الكلام عاماً، بأن نقول: أن بعضَ الناسِ فيهم هذه الحالة الرديئة، وينبغي أن يكونوا بعيدين عنها، والناس لا يعرفون هؤلاء البعض، في هذه الحالة لا مانع من هذا الكلام ولا يعتبر غيبةً.

4- أحياناً يكون الكلام خالياً من الغيبة والتطاول على البعض، ولكن فيه توهين، وتحقير للعام، وإشاعة للفاحشة، فمن هذا الباب يكون حراماً.

---

215 الهمزة: 1.

216 النساء: 148.



أكرمكم... أتقاكم

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[217] الآية: (13).

***

من وحي الآية

* يقول بعض المفسرين: بأن هذه الآية لها ارتباط بالآيات السابقة، وهو: حيث أن الاستهزاء والغيبة منبعثان من الإحساس بالأفضلية وحب الذات، وحسن الظن بالنفس، لذا تتعقب هذه الآية بالقول بأن الشرف والأفضلية في التقوى لا غير:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾ وليس بما يظنه الجاهلون.

* الآية المباركة تطرقت إلى ثلاثة أصول ينبغي أن تعزز

217 الحجرات: 13.

في المجتمع البشري وهي: أصل المساواة وأصل التعارف بين الطوائف البشرية مع بعض، وأصل التقوى، وأنه الأساس في الأفضلية وليست الأمور الأخرى، ولو أن القرآن الكريم أشار إلى أمور أخرى بأنها الأساس في الخير، ولكنها ترجع إلى مسألة التقوى أيضاً، منها العلم، والأمانة، والقدرة، والهجرة، وهذه الأمور لها قيمتها أيضاً عندما تكون في الطريق الصحيح.

دروسٌ من الآية

1- الأفضلية ليست في الرجولة أو الأنوثة، أو أن فلان من هذه القبيلة، وفلان من تلك القبيلة، هذه الأمور من تقديرات رب العالمين سبحانه وتعالى ﴿**خلقنا... جعلنا**﴾.

2- الاختلاف الموجود في الخلقة، لأمر حكيم مختص بالله تعالى، ولأجل تَعَرّفِ البعض على البعض الآخر لا لأجل التفاخر ﴿...**لِتَعارَفُوا**...﴾.

3- المنزلة التي يحصلها الإنسان من المجتمع، سريعة الزوال، ولكن إذا كانت من الله عز وجل فإنها لا تزول، بل باقية مع بقاء الدهر ﴿...**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ**...﴾.

4- لا ينبغي للمؤمنين والمتقين ان يطلبوا شيئاً من الناس، بما أن معاملتهم مع الله سبحانه وتعالى لذا فإن كرامتهم محفوظة

عنده ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ...﴾.

5- القرآن الكريم ينظر إلى جميع المفارقات الدنيوية، كاللون والقومية والحزب والعنصر، والقبيلة والإقليم، والاقتصاد والعقيدة والثقافة والاجتماع، بأنها لا شيء إذا كانت خالية من تقوى الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ...﴾.

6- حب الأفضلية والتميّز على الآخرين أمرٌ فطري جُعِلَ في قرارة الإنسان، ولكن الإسلام العظيم، أَمَرَ بان يكون ذلك مصحوباً بالإيمان والتقوى، قال عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

7- الذي خلق الكون والإنسان والحياة هو الذي يعرف جيداً بأن اللون والقومية والعشيرة لا قيمة لها، وإنَّ كثيراً من الأمور التي يتعصب الإنسان لها أمور تافهة ولغو ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

8- لا ينبغي للمؤمنين أن يتظاهروا بالتقوى والصلاح، ويدعوا ذلك لأنفسهم وأعمالهم، رَبُّنا سبحانه وتعالى يعلم بنا جيداً ﴿...عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.



بين الإسلام والإيمان

﴿قالَتِ الأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[218] الآية: (14).

* * *

من وحي الآية

* المراد من الأعراب هم سكان البادية، حيث أنَّ بعضهم مؤمنون، وقد عظم القرآن الكريم شأنهم، وقَدرهم، كما في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[219]، ولكن بعض الأعراب كانوا يتصورون بأنهم أكثر مما هم عليه، فكانوا يدّعون الإيمان، في وقت لم يكونوا سوى مسلمين لا يعرفون إلا شيئاً قليلاً من الإسلام.

218 الحجرات: 14.

219 التوبة: 99.

دروسٌ من الآية

1- ليس من الصحيح الإصغاءُ إلى جميع ما يقوله الناس، وهكذا إلى الشعارات البرّاقة التي تصدر من هنا وهناك ﴿**قالَتِ الأَعْرابُ آمَنَّا**...﴾.

2- يجب الوقوف أمام الشعارات الباطلة ﴿..**قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا**﴾.

3- يجب على الإنسان أن يحترم نفسه، ولا يتجاوز حدوده، ولا يدعي ما ليس له، ﴿..**قُولُوا أَسْلَمْنا**...﴾.

4- الإسلام مرحلةٌ ظاهرية، ولكن الإيمان له ارتباط بباطن الإنسان ﴿...**وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ**...﴾.

5- لابد من الحوار مع الذي يدعي الكمال، بالحكمة والكلم الطيب الذي لا يُؤيسه من الوصول إلى الكمال الذي يطلبه ويرجوه ﴿...**وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ**...﴾.

6- طريق الوصول إلى الكمال مفتوح ﴿...**وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ**...﴾.

7- إطاعة النبي صلى الله عليه وآله تأتي دائماً مع إطاعة الله سبحانه وتعالى، وهذه علامة على عصمته، فلذا لابد للمسلمين من احترامه، وإطاعة أوامره بدون أي اعتراض. ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾.

8- رَبُّنا سبحانه وتعالى عادل، لا ينقص من جزاء عمل الإنسان شيئاً: ﴿لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً...﴾، المدير الصالح والناجح هو الذي لا ينقص من حقوق العاملين شيئاً أبداً.

الفرقُ بين الإسلام والإيمان

1- فرقٌ في العمق، الإسلام هي الصبغةُ الظاهرية للإنسان، بينما الإيمان يتناول الباطن والقلب.

عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾[220]، قال: الإسلام. وقال عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى﴾ قال: هو الإيمان بالله وحده لا شريك له[221].

2- الاختلاف في الهدف: أحياناً يُسلِمُ الإنسانُ لكي يصل إلى بعض المنافع المادية، ولكن منافع الإيمان ليست مادية، لأن الأمور المرتبطة بالقلب معنوية في كل الأبعاد.

عن الإمام الصادق عليه السلام: الإسلام يُحقَنُ به الدّم، وتؤدى به الأمانة، وتُستحلُ به الفروج، والثواب على الإيمان.

---

220 البقرة: 138.

221 الكافي: ج2، ص24.

3- الاختلاف في العمل، يمكن أن يعلن الإنسان إسلامه، ولكن لا يعمل بأوامرهِ ونواهيهِ، ولكن الإيمان يجب أن يخالطه العمل، جاء في الحديث الشريف: "**الإيمان إِقرارٌ وعمل والإسلامُ إقرارٌ بلا عمل**"[222].

وفي حديثٍ آخر، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: "**إنّ الله فضل الإيمان على الإسلام، بدرَجةٍ كما فضل الكعبة على المسجد الحرام**"[223].

4- الاختلاف في الأمور الاجتماعية والسياسية: عن الإمام الصادق عليه السلام: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام، وقال: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقربها ولم يعرف هذا الأمر (الولاية لأهل البيت عليهم السلام) كان مسلماً وكان ضالاً﴾[224].

5- الاختلاف في الدرجة: عن الإمام أبي الحسن عليه السلام سمعته يقول: الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيءٌ أقل من اليقين﴾[225].

222 الكافي: ج2، ص24.
223 الكافي: ج2، ص52.
224 الكافي: ج2، ص24.
225 الكافي: ج2، ص51.



حقيقة الإيمان

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[226] الآية: (15).

* * *

من وحي الآية

1 - القرآن الكريم يشير تارةً إلى أُسس تكامل الإنسان وقواعده بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وتارةً يُشير إلى النماذج العالية من المؤمنين والصادقين، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ...﴾.

2 - الإيمان بالنبي الأكرم ﷺ لابُدّ أن يكون ملازماً للإيمان بالله تعالى: ﴿آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ...﴾.

---

226 الحجرات: 15.

3- علامة الإيمان الصادق هو الثبات، وعدم التزلزل والتردد في تطبيق الأوامر والنواهي الإلهية. ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾.

4- الإيمان أمر قلبي، يُعرف ذلك من خلال تطبيق آيات الله تعالى. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ...وَجَاهَدُوا...﴾.

5- الإيمان الذي لا يخالطه العمل الصالح، ليس إلا شعاراً يرفعه الإنسان. ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾، نفهم من هذه الآية المباركة أنَّ إيمانَ الإنسان البخيل والجبان لا حقيقة له.

6- في منهج الإسلام، لابد أن يكون الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾، فالذي يبذل مالاً قليلاً لكي يهرب من القتال، أو القيام بالأمور الإلهية الواجبة الأخرى إنما يخدع نفسه ولا يملك الإيمان الواقعي.

علامات المُؤمن الحقيقي

* ذكر القرآن الكريم أربعة آيات، تبدأ بجملة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ...﴾ وهذه الآيات تُبين ملامح المؤمن الصادق في إيمانه، والآيات هي:

1- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[227].

2- قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾[228].

3-4- آيتان ذُكِرتا في هذه السورة المباركة وهي ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، والآية التي نحن في صددها ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، إذا وضعنا هذه الآيات الأربع إلى جنب بعض، سوف تتضح علامات المؤمن الصادق، الذي يقول القرآن الكريم عنه: ﴿أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، ﴿أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

لذا فالمؤمن الحقيقي هو الذي:

1- ﴿إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، قلبه يلين ويطمئن مع ذكر الله تعالى، لا مع المال المال والجاه و...و....

2- أنه دائماً في حالة نشاط وعمل وسعي نحو الأفضل، وأنه يعشق أوامر الله عز وجل. قال تعالى: ﴿...وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً...﴾.

227 الأنفال: 2.
228 النور: 62.

في حين هناك بعض المسلمين ﴿كَالْحِجارَةِ...﴾[229] ، والبعض الآخر في حالة تراجع مستمر ﴿آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا...﴾، والبعض الآخر يدور حول نفسه كحمار الطاحونة كما في الرواية[230].

3- اعتماده الأول والأخير على الله سبحانه وتعالى، قال تعالى ﴿...وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، لا ينتظر مساعدة القوى الظالمة الكافرة التي ليس همها إلا القضاء على الإنسانية والعقائد الصالحة.

4- في الحياة الاجتماعية، لا يقدم على عملٍ كبيرٍ إلا من بعد ما يأته الأمر من قائده الرباني، وإنه محب له. قال تعالى: ﴿...إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ...﴾.

5- لا يفضل نفسه على الآخرين من المؤمنين. قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

6- إيمانه راسخٌ مبنيٌّ على أساس العلم والعقل والفطرة، وهو يعملون بعد يقينه بالله تعالى، وما أعد لعباده الصالحين من ثواب في الدنيا والآخرة، ولا تُؤثر به التبليغات والدعايات الباطلة، ولا يتأثر بحوادث الحياة سواء كانت مفرحة أو محزنة، إذ يبقى إيمانهم على ما هو عليه. ﴿...ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا...﴾.

7- أنه يبذل ماله ورواحه في سبيل الله عز وجل، وذلك دفاعاً

229 البقرة: 74.

230 البحار: ج 1، ص 208.

عن الإسلام والمسلمين: ﴿...وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾.

الثباتُ على الإيمان

الأمر الذي هو أهم من الإيمان، الاستقامةُ والثبات عليه، القرآن الكريم أشار إلى هذه النقطة المهمة بعدةِ صور منها:

1- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾[231].

2- وقال عز وجل: ﴿...وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾[232].

أوصى نبي الله يعقوب عليه السلام بنيه: **أن لا يموتوا إلا في طريق الحق والإيمان**.

3- وقال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال المفسرون، أي اجعلنا على الطريق المستقيم إلى آخر لحظة من حياتنا.

4- وقال عز وجل: ﴿...تَوَفَّنا مَعَ الأَبْرارِ﴾[233].

5- وقال سبحانه وتعالى: ﴿...تَوَفَّنِي مُسْلِماً...﴾[234].

6- ﴿...فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[235]؛ قال الإمام الصادق عليه السلام:

---

231 فصلت: 30.
232 البقرة: 102.
233 آل عمران: 193.
234 يوسف: 101.
235 الأنعام: 98.

"المراد من ﴿فمستقر﴾ الإيمان الثابت و﴿مستودع﴾ الإيمان الموقت"[236].

عوامل ثبات الإيمان

1 - **التقوى**: قال الإمام الصادق عليه السلام (مضمون الحديث): **الورع يُثبتُ الإيمان في ا لقلب، والطمع يخرج الإيمان من القلب**[237].

2 - **الطلب من الله سبحانه وتعالى**: لأجل تثبيت الإيمان في القلب إلى آخر العمر، ربنا سبحانه وتعالى يأمر الملائكة في هذه المسألة. قال تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾**[238]، وفي آية أخرى قال عز وجل: **﴿...وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ...﴾**[239].

3 - التطلع إلى التأريخ، وأخذ الدروس والعبر منه، سبب مهم يدعو الإنسان إلى الصلاح والاستقامة. قال تعالى: **﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ﴾**[240].

---

236 راجع ميزان الحكمة.

237 ميزان الحكمة.

238 الأنفال: 12.

239 الكهف: 14.

240 هود: 120.



التظاهر بالإيمان

﴿قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[241] الآية: (16).

***

من وحي الآية

* جاء جماعة من المسلمين إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ وأقسموا بأنَّ إيماننا صادق، فنزلت الآية المباركة لتقول لهم، ليس هناك حاجة لكي تقسموا على إيمانكم، رَبُّنا سبحانه وتعالى يعلم بجميع الأمور.

* إذا كان الهدف من إظهار العقيدة لأولياء الله سبحانه وتعالى، معرفة الصالح منها الفاسد، ولكي يكون الإنسان على بينةٍ من أمره، فهو أمر عظيم جداً، كما كان السيد عبد العظيم الحسني قدس سره

---

241 الحجرات: 16.

يعرض عقائده على الإمام الهادي عليه السلام، أما إذا كان الهدف من عرض العقائد الرياء والسمعة (كالمخاطبين بهذه الآية) فهؤلاء يستحقون اللوم والتوبيخ.

دروسٌ من الآية

1 - التظاهر بالإيمان عند النبي صلى الله عليه وآله هو في الحقيقة تظاهر على الله عز وجل، هؤلاء جاءوا إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعرضوا عليه إيمانهم، ولكن القرآن الكريم يقول **﴿قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ﴾**.

2 - يجب أن لا يتظاهر الإنسان بما عنده إلى الذي يعلم بكل الأمور **﴿...أَ تُعَلِّمُونَ اللهَ... وَاللهُ يَعْلَمُ...﴾**.

3 - ربنا سبحانه وتعالى يعلم بوجود الأشياء، وكذلك يعلم بخصوصياتها بكل دقةٍ **﴿...يَعْلَمُ... وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**.

قد يعلم مسؤول المخزن بالأمور الموجودة في المستودع بشكلٍ كاملٍ، ولكنه لا يعلم من أي شيء صنعت ولا يدري إلى أين تذهب، وكم يُستفاد منها، ومن الذي يستخدمها.



لا تمنوا عليّ إسلامكم

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[242] الآية: (17).

* * *

من وحي الآية

* بعض المسلمين، مثل قبيلة بني أسد، عندما أسلموا جاءوا إلى النبي الأكرم ﷺ، وأخذ يمنّون عليه إسلامهم، فقالوا له: نحن أسلمنا بدون حرب وإراقة دماء، لذا فعليك أن تعرف قدرنا، فنزلت الآية المباركة ونَهتهم عن هذا التفكير الخاطئ.

* ربنا سبحانه وتعالى ذكر في هذه الآية نِعمة الإيمان، وفي آية 164 من سورة آل عمران ذكر نعمة إرسال الأنبياء عليهم السلام. وفي آية 5 من سورة القصص قال: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ

242 الحجرات: 17.

عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾، من هذه الآيات نفهم، أن من أكبر النعم الإلهية على الإنسان هي نعمة الهداية، ونعمة إرسال النبي والإمام المعصوم والعالم الصالح والحكومة الصالحة.

دروسٌ من الآية

1- الاهتداء إلى الإسلام، نعمة إلهية كبرى، وقبول الإسلام مِنةُ من الله عز وجل على الإنسان ﴿...**بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ**...﴾.

2- ربنا سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى إسلامنا وإيماننا وعباداتنا، بل نحن الذي نحتاجه في كل صغيرة وكبيرة. ﴿...**لا تَمُنُّوا عَلَيَّ**...﴾.

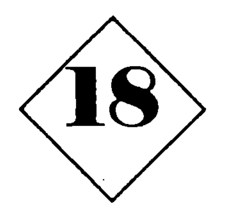
3- المؤمن الحقيقي هو الذي يرى بأن الله سبحانه وتعالى صاحب الفضل عليه في هدايته للإسلام والإيمان، لا الذي يَمُنُّ على الله إسلامه. ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**...**لا تَمُنُّوا**...**بَلِ اللهُ يَمُنُّ**﴾ وهو الذي يرى نفسه مديوناً لله تعالى.

4- الامتنان على الرسول صلى الله عليه وآله امتنانٌ على الله عز وجل، فلهذا نرى الله سبحانه وتعالى يَردُّ على الذين امتنوا على الرسول صلى الله عليه وآله بصورة كأنما يمنون عليه تعالى. قال تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ**...**بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ**...﴾.

ربنا سبحانه وتعالى يدافع عن رسوله الكريم ﷺ، ولا يقبل من شخص أن يَمُنَّ عليه بشيء من الأمور.

5- الأعـراب امتنوا على الرسول ﷺ بقبولهم للإسلام ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**...﴾ بينما رب العزة تبارك وتعالى أخذ بأيديهم إلى مرحلة أفضل وأعلى وهي ﴿...**أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ**...﴾، حيث أن الإيمان أعلى من الإسلام.

6- يصل الإنسان إلى مرحلة الكمال مع أخذه بالإيمان المطلوب. ﴿..**هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ**﴾ وليس بالتظاهر بالإسلام، حيث أن المنافقين أيضاً يحملون هذه الصفة، إذ أخذوا بظاهر الإسلام، دون أن يدخل في قلوبهم شيء.



الله بصير بما تعملون

﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾ الآية: (18).

* * *

دروسٌ من الآية

1- لكي يطوي الإنسان مراحل التوحيد العليا، لابد من أن يخلص في إيمانه لله سبحانه وتعالى، وأنه هو الذي يعلم بذلك بالشكل الكامل، ولا يصل الإنسان إلى الهدف المطلوب منه بالأخذ بالمظاهر الإسلامية، ووضع الشعارات والامتنان على الآخرين. ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾، والله الذي يعلم بدقائق الموجودات في الكون، كيف لا يعلم بإيمان الإنسان.

2- الإيمان بعلم الله سبحانه وتعالى وبصيرته بدقائق الأمور،

دافع كبير يدعوا الإنسان إلى التقوى والصلاح "فلو علمنا بأن هناك أجهزة إلهية تُصور أعمالنا وتسجل أصواتنا، لتنبهنا إلى أنفسنا وأعمالنا بشكل أكثر".

3- يختلف علم الله سبحانه وتعالى عن علم المخلوقات، إذ أن المخلوقات ومنها الإنسان ينظر إلى الأمور بصورة سطحية، فلهذا علمه لا يتجاوز ذلك، بينما علمه سبحانه وتعالى متقارن مع البصيرة، إذ يعلم بحقائق الأمور بشكل كامل ودائم وعميق: ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ...اللهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين

دمشق – السيدة زينب عليها السلام

المترجم: الشيخ علي الإبراهيمي

22 رجب المرجب 1425هـ.ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين....

أسئلة مسابقات شهر رمضان المبارك لسنة (1425هـ)

سورة الحجرات

1- ما هو الاسم الآخر الذي سميت به هذه السورة المباركة؟
2- لماذا سميت السورة بسورة الحجرات؟
3- ما هو المراد من التقدم على الله (عز وجل) ورسوله صلى الله عليه وآله؟
4- هل يجوز للمؤمن أن يزيد في الدعاء أو ينقص كيفما شاء؟
5- هل يجوز الصوم في السفر؟
6- ما هي أسباب انكسار المسلمين في معركة أحد؟
7- كيف تحصل على التقوى؟
8- لماذا يسبب رفع الصوت على الكبير حبط أعمال الإنسان؟
9- لماذا طلب النبي صلى الله عليه وآله من المسلمين قلماً وورقة وهو على فراش الموت؟
10- لماذا ارتفعت الأصوات عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام دفن أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام؟

11- لماذا يحترم الناس في جميع العالم أمورهم المقدسة، حسب اعتقادهم؟
12- كيف يحترم الناس أمورهم المقدسة؟
13- ما هي الأمور المقدسة في الإسلام؟
14- لماذا لم يخطب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في زمن النبي صلى الله عليه وآله؟
15- ماذا كان الإمام الرضا عليه السلام يفعل عندما يسمع اسم الإمام المهدي عليه السلام؟
16- كيف تحبط أعمال الزوجة؟
17- ما هي آداب الكلام؟
18- لماذا أصبحت عاقبة الحر الرياحي حسنة؟
19- كيف كان بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله؟
20- لماذا التحقيق واجب والتجسس حرام؟
21- لماذا أمر الله سبحانه وتعالى بالتحقيق عند سماع الخبر من الفاسق؟
22- هل جميع أخبار الفاسق باطلة؟
23- ما هو الفسق ومن هو الفاسق؟
24- كيف يجب أن نتعامل مع الفاسق؟
25- ما هي أطول آية في القرآن الكريم وعن ماذا تتحدث؟

26- ما هو الواجب على المسلم عند سماعه لخبر من الأخبار؟
27- كيف يمكن معرفة الكلام الصالح من الفاسد؟
28- كيف يمكن لنا معرفة عظمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟
29- ما هي صور الكذب؟
30- ما هو الشيء الذي حببه الله سبحانه وتعالى في قلوب المؤمنين؟
31- لماذا يحب الإنسان الإيمان ويكره الكفر؟
32- ما هو الواجب على المؤمنين عندما يرون إلى المتجاوز والظالم رجوعه إلى الإيمان؟
33- لماذا أمر الله سبحانه وتعالى بمقاتلة المتجاوز؟
34- ماذا عمل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قبل حدوث القتال في معركة الجمل؟
35- ما أهمية وجود العدل في المجتمع الإسلامي؟
36- لماذا القوانين الوضعية فاشلة؟
37- ما هي الأمور التي أمر الإسلام بها إلى الاعتدال فيها؟
38- ما هو الشيء الذي يثبت الأخوة والمحبة بين الناس؟
39- هل يمكن حصول الأخوة الإيمانية بين الأب وابنه؟
40- ما هي الأمور التي تمنع الصلح؟

41- كيف يحصل الإنسان على رحمة الله سبحانه وتعالى؟

42- ما الفرق بين الغيبة والبهتان؟

43- ما هو الفرق بين الهمز واللمز؟

44- ما هي الأمور التي تدفع البعض إلى الاستهزاء بالآخرين؟

45- ما هي مخاطر السخرية؟

46- لماذا الغيبة حرام؟

47- لماذا وصفت السورة الغيبة كأكل لحم الميت؟

48- ماذا يجب على الإنسان الذي اغتاب الآخرين؟

49- ما أنواع سوء الظن؟

50- متى تجوز الغيبة؟

51- ما أنواع الغيبة؟

52- ما هي الأمور التي تدفع الناس إلى اغتياب الآخرين؟

53- ما هي وظيفة سامع الغيبة؟

54- كيف يحصل الإنسان على الكرامة عند الله تعالى؟

55- ما هو الفرق بين الإيمان والإسلام؟

56- ما هي عوامل ثبات الإيمان في القلب؟

57- من هم الأعراب؟

الفهرس